

منهج العقيدة

حوار عقائدي على شكل سؤال وجواب

السيد مقتدى الصدر (دام عزه)

منهج العقيدة

المؤلف: السيد مقتدى الصدر (أعزه الله)

العدد: ٢٠٠٠

المطبعة: دار الضياء للطباعة والتصميم

الطبعة: الثانية (١٤٣٧ - ٢٠١٦)

جميع الحقوق محفوظة



النجف الأشرف

٠٧٧٠٦٠٦٢٧٧٨

alturaath_1943@yahoo.com

alturaath.43@gmail.com

دار الضياء للطباعة والتصميم



العراق - النجف الأشرف

٠٧٨٠١٠٠٠٦٠٣

aldhia_company@yahoo.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطاهرين.

ليس خفيُّ على أحد أهمية البحث والإطلاع على العقيدة، وضرورة التوصل إلى النتائج السليمة في الاعتقاد الحق، الذي يبني عليه الإيمان الواعي والرشيد. ومن هنا نجد التأكيد من القرآن الكريم والمعصومين عليهم السلام على ضرورة المتابعة المستمرة لتحصيل القناعة السديدة للمعارف العقائدية.

ومن هذا المنطلق رأينا من اللازم أن نقدم لسماحة حجة الإسلام والمسلمين السيد مقتدى الصدر (دام عزه) بعض الأسئلة العقائدية التي تنتشر بين الطبقات الشعبية والمثقفة بالثقافة المتوسطة بين المؤمنين، محاولين أن نُثير هذه الأسئلة من أجواء القرآن الكريم ومؤكدين على الصبغة الأخلاقية لمضامينها العامة، منتظرين من سماحته أن يرشدنا لما فيه الخير والصلاح، فإنه من السَّابِقِينَ لذلك.

علماً أن هذه المجموعة الأولى تُسلط الضوء على التوحيد والعدل، وستتبعها الأسئلة المختصة بالنبوة والإمامة والمعاد ومعتقدات أخرى مهمة.

والأسئلة كالتالي:

السؤال الأول:

لماذا سُميت أصول الدين وفروع الدين بهذا الاسم؟ وما هو الفرق بينهما؟ وما هو الدليل العقلي والشرعي على أنّ الأصول الخمسة (التوحيد - العدل - النبوة - الإمامة - المعاد) بلا زيادة أو نقصان؟

بسمه تعالى:

إمّا الشق الأول من الجواب - أعني لماذا سُميت أصول الدين بذلك - فإن أصل الشيء جذرُه، وأول المادة ومبدأه وأساسه، على خلاف الفرع، فإنه ما تفرع عن ذلك، يقال: أصل الشجرة جذرها والأغصان فرعها، وزوال الأصل أو الجذر زوال للشجرة بكاملها، أما زوال فرعها لا يعني زوال الشجرة بكاملها. فكذلك زوال أصول الدين - العدل والتوحيد والنبوة والإمامة والمعاد - زوال لأصل الدين، ولذا يقال: أن الفرق الأول بين أصول الدين وفروعه، إن

الأول كما قلنا، وأما زوال فروع الدين فإنه لا يعني زوال الدين، بل غاية ما يقال مع التعمد هو الفسق، إلا من استحل تركها مثلاً، فحكمه يختلف من هذه الناحية.

الفرق الثاني: إن أصول الدين ضرورة عقلية لا دخل للشرع فيها، وهذا خلاف فروع الدين، فإن أدلتها وأصولها شرعية أثبتها الشارع.

الفرق الثالث: إن أصول الدين لا تقليد فيها، كما قرره المتكلمون، وإنما التقليد في فروع الدين فقط، كالحج والزكاة وغيرها، والتقليد ليس في أصل هذه الفروع، بل يكون التقليد في ما يرتبط بالمكلف من أفعال وتروك.

الفرق الرابع: إن أصول الدين ترتبط بعقيدة الإنسان وسلوكه الفكري على حد تعبير بعضهم، أما الفروع فهي ترتبط بأفعال الإنسان أو قل سلوكه العملي.

وهذه الفوارق تصلح أن تكون جواباً عن الشق الثاني من السؤال، أعني به الفرق بين أصول الدين وفروعه. أما الأدلة على أصول الدين الخمسة، فسأعطي على كل أصل من أصول الدين دليلاً، حتى لا يخرج الكتاب عن الاختصار والفائدة الحقيقية بعونه

تعالى وفضله، وهي كالاتي:

أولاً: التوحيد:

وهو أن الله واحد لا شريك له، والدليل في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءِالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾^(١)، إن هذه الآية صريحة في إثبات الوحدانية لله تعالى، بالدليل العقلي، وهو ما يسمى ببرهان النظم، وهي تنفي الآلهة من دون الله في السماء والأرض، بمعنى في كل مكان، إذن فوجود آلهة غير الله سيكون موجبا للفساد وتعدد النظم واستقلال أحدهما عن الآخر، وقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام: اتصال التدبير وتمام الصنع، كما قال عز وجل: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءِالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^(٢).

ثانياً: العدل:

وهو أن الله عادل لا يظلم أحداً، قال تعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾^(٣)، وهذا دليل نقلي على أصل العدالة، وأما عقلاً، فإن العقل يقضي أن يصف الذات الإلهية بالعدل

١ - سورة الأنبياء: آية ٢٢.

٢ - التوحيد: ص ٢٥٠، ح ٢.

٣ - سورة فصلت: آية ٤٦.

المطلق، فلولا العدل لأُسند إلى ذاته الظلم، وهذا يتناقض مع صفات
الخير التي توصل إليها العقل.

ثالثاً: النبوة:

وهي الوساطة بين الخالق ومخلوقه، من ذوي العقول، لهدايتهم
في أمر معاشهم ومعادهم، فيبشرون الناس بالثواب وينذرونهم
بالعقاب، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ
أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ
لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا
جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ
بِأَذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(١)، إلا أن الدليل على هذا
الأصل يكون على مستويين:

المستوى الأول: إثبات نفس النبوة، والدليل عليها هو قاعدة
اللطيف، فإن الأنبياء عبارة عن مرشدين ومبشرين ومنذرين، فلو أن
الله لم يبعث الرسل لما عرفنا الحق والأديان السماوية السمحاء، وهم
من باب آخر يُلقون علينا الحجة، فهم يحكمون لنا فيما نختلف فيه
من الحق، فيبينون لنا الحق حقاً والباطل باطلاً، فمن اتبعهم أثابه الله

١ - سورة البقرة: آية ٢١٣.

ومن عصاهم عاقبه الله، ولولا بَعَثُهُمْ لبقِيَ الناس على ضلالتهم
وعِيَهُم، وهذا قبيح منه جل جلاله، ولا يمكن أن يصدر القبيح منه
بطبيعة الحال.

المستوى الثاني: إثبات العصمة، فالعصمة لا يمكن أن تنفك
عن النبوة، وإلا فإنها إذا انفكت فقد نزع في التهلكة، إذا صدر
إرشاد منهم خاطئ ولا يمثل الحق، أما الإرشاد والأوامر الخاطئة،
فهي لا تصدر من المعصوم على الإطلاق، فلذا يجب عقلاً أن
يتحلى النبي بالعصمة إتماماً للغرض.

هذا ويمكن الاستدلال على عصمة الأنبياء من القرآن لا من
العقل فقط، منه قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ
بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾^(١)، فإن هذه الآية تدل على وجوب الطاعة في كل
مكان وزمان، وهي لا تتلاءم إلا مع العصمة، فلولا العصمة لأمكن
عدم طاعة الأنبياء حينما يصدر منهم أمر غير صحيح، أو قل يصدر
منهم أمراً يمكن مناقشته أو حتى عصيانه، وأما العصمة فتقتضي
تصحيح كل أوامرهم وإرشاداتهم ونصائحهم ومواعظهم، وبالتالي
يجب اتباع الحق الصادر منهم مطلقاً (وهو ما يسمى بنقض الغرض).

١- سورة النساء: آية ٦٤.

رابعاً: الإمامة:

لعل ما بين هذا الأصل وسابقه بعض الارتباط، بل هو ارتباط وثيق، من حيث أن الإمامة استمرار لخط النبوة، وهي إن وجدت لم يُخَفَّ على النبوة من التهديد والتدمير والتحريف والتزوير وما إلى ذلك، إذن فإثبات الإمامة ملازم لإثبات النبوة، وتعبير آخر: إن ضرورة وجود النبوة هي لهداية الناس، فإن كان عدم استمرارها فيه خلاف للهداية، فلا بد من وجود الإمامة لكي تكون راعية للهداية والصلاح والإصلاح، إما دليل العصمة، فهو كما ورد في أصل النبوة تماماً، فانظر مدى الترابط بين هذين الأصلين مفهوماً ومصداقاً.

خامساً: المعاد:

وهو وعد فيه يجمع الناس أشتاتاً ليرُوا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره، وفي القرآن آيات كثيرة تدل عليه مما لا مجال للشك معه، كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

١ - سورة الحج: آية ٧.

قَدِيرٌ ﴿^(١)﴾، وغيرها من الآيات إن شئت فراجع، لكن قد لا يمكن الوقوف عند هذا الحد، فنحن نحتاج إلى دليل عقلي إضافة إلى الدليل القرآني، كما فعلنا في أدلة كل أصول الدين الخمسة، وأهم دليل على المعاد: هو أن عدم وجوده يثبت العبثية للخلق، وهذا قبيح منه جل جلاله، إذن فالمعاد يجعل من الخليقة حقاً ويثبت لها هدفاً، كما قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ ^(٢)، بل يمكننا القول بأن الرحمة الإلهية واللفظ الإلهي لا يترك مجالاً ولا بدءاً، بل لا محيص عن كون الخلق كله لهدف ومصلحة كما هو معلوم، فالعبثية لا تصدر منه جل جلاله وعلا شأنه.

السؤال الثاني:

يقال: إن الركائز العقائدية وخصوصاً التوحيد موجودة في فطرة الإنسان، كيف يكون ذلك وما المقصود بالفطرة؟ وما معنى قول الإمام الباقر عليه السلام: «فطرهم على التوحيد عند الميثاق على معرفته أنه ربهم» ^(٣)؟

١ - سورة النحل: آية ٧٧.

٢ - سورة الجاثية: آية ٢٢.

٣ - الصدوق، التوحيد: باب فطرة الله عز وجل الخلق على التوحيد، ص ٣٣٠، ح ٨.

بِسْمِهِ تَعَالَى:

يجاب على هذا السؤال بعد أن نوضح أمرين:

الأمر الأول: الفطرة:

وهي لغوياً الإيجاد والخلق، فعندما يقال: فطر الله الخلق، أي أوجده وابتدعه من العدم جل جلاله. ومنها: فاطر السماوات والأرض، وتعني: أوجدها و اخترعها من العدم وابتدعها ابتداء، أي أنشأه على غير مثال سابق. فهو سبحانه وتعالى المبدع أو البديع والخالق والفاطر، كلها من أسمائه الحسنى التي لا يتصف بها غيره بالذات، قال تعالى: ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١)، وقال عزَّ من قائل:

﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾^(٢).

الأمر الثاني: الميثاق:

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾^(٣)، فالميثاق

لغةً هو: العهد، وهنا بمعنى عهد الله، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ

١- سورة فاطر: آية ١.

٢- سورة الروم: آية ٣٠.

٣- سورة الرعد: آية ٢٠.

إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١﴾ ، وبطبيعة الحال فنقض العهد والميثاق أمر قبيح، فالمطلوب الإيفاء بالعهد.

ومن ثم نقول: إن كل إنسان مفطور على أمور توصله إلى السعادة والكمال والتكامل، وإلى كل ما يسد نواقصه وعيوبه، ثم اعلم أن الله ما خلق الخلق إلا للكمال والعبادة، فقد قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٢)، ولا يمكن أن يخلق الخلق لغاية كهذه الغاية العظيمة، ولا يغرر فيه الأدوات والغرائز والحواس التي تساعد على هذه الطاعة أو العبادة، فإن عدم إعطائه المقومات قبيح منه جلّ وعلا.

ومن هذه المقومات قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ (٣)، أي أنه جل جلاله غرز فيه التوجه للدين، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ (٤)،

١- سورة يس: آية ٦٠.

٢- سورة الذاريات: آية ٥٦.

٣- سورة الروم: آية ٣٠.

٤- سورة الحجرات: آية ٧.

فإن الله سبحانه وتعالى حينما غرز في الإنسان التوجُّه للدين فإنه حدَّده بصفة الاعتدال حينما قال: (حَنِيفًا) أي معتدلاً، كما فسره صاحب الميزان قَدْرِي.

ومما هو معلوم لدينا أن المقصود بالدين هنا الإسلام، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(١)، وكما قال سيد الموحدين أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام: ((إن المؤمن لم يأخذ دينه عن رأيه ولكن أتاه من ربه فأخذه))^(٢)، إذن لا يمكن للإنسان أن يتحكم بدينه واختيار ما يناسبه، بل إن الفطرة هي من لا تغير له ذلك الدين.

هذا وإن من أهم مقومات الدين وما يجب الالتزام به أمام الله هو ما عهده إلينا نحن البشر، ألا وهو: التوحيد، فقد قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾^(٣)، والإخلاص لا يتم إلا مع التوحيد، وأما الشرك أو الإشراك فهو ينافي الإخلاص والصفاء بطبيعة الحال، فيكون المقصود من الفطرة - التي فطر الله

١- سورة آل عمران: آية ١٩.

٢- الكليني، الكافي: ج ٢، باب نسبة الإسلام، ح ٢، ص ٤٦.

٣- سورة البينة: آية ٥.

الناس عليها - التوحيد.

ومنه يتبين قول الإمام الباقر عليه السلام: «فطرهم على التوحيد عند الميثاق على معرفته أنه ربهم»^(١).

فيكون المعنى: إن الله خلق الخلق وفطرهم قبل هذه النشأة على الدين المتوقف على توحيدهِ والإخلاص إليه عندما أخذ منهم الميثاق والعهد بأنه ربهم لا يعبدون غيره، وإنهم إليه يرجعون وله يعبدون وعليه يتكلمون، حيث قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَنُهَلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾^(٢).

السؤال الثالث:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ

١- الصدوق، التوحيد: باب فطرة الله عز وجل الخلق على التوحيد، ص ٣٣٠، ح ٨.

٢- سورة الأعراف: آية ١٧٢-١٧٣.

أَفَنهَلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٢﴾ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١﴾.

ما معنى عالم الذرّ وكيف نفهم هذه الآية؟ وما هي أهم المضامين العقائدية التي تثيرها الآية؟

بسمه تعالى:

اتفق المفسرون على عظمة هذه الآية ودقتها وأهميتها في ما يخص الربوبية، فهي دقيقة المعنى ومسبوكة النظم، كما يعبر بعض المفسرين (قدس الله أسرارهم)، إلا أن الخلاف وقع في دلالة هذه الآية على (عالم الذرّ) وعدمه، فقد ناقش البعض في عدم دلالتها على عالم الذرّ واستدل بعدة نقاط لا مجال لذكرها هنا، ونحن هنا سنأخذ دلالتها مُسَلِّمة للاختصار ليس إلا: فإن عالم الذرّ هو ما أشارت إليه الآية الكريمة المذكورة في السؤال، وهو: أن الله أخذ من بني آدم من ظهورهم من ذريتهم عهداً وميثاقاً بالربوبية، أو قل بربوبيته جلّ جلاله، ثم أشهد بني آدم على ذلك، بل وأمرهم بالإقرار بذلك، ولذلك فهو سبحانه وتعالى يسألهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾، فيجيبوه: ﴿بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾.

وكل هذا يُنتج أموراً مهمة جداً، بمعنى أن هذا العهد والإشهاد

١- سورة الأعراف: آية ١٧٢-١٧٤.

والإقرار يُلزمهم الحجة، فعليه يجب أن لا يدَّعوا فيما بعد ذلك، لا هم ولا ذريتهم النسيان والغفلة، أو أمراً آخرًا، وهو: ﴿ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ كل هذه الحجج التي قد يطرحها بنو آدم بعد عالم الذرّ، أو قل بعد الميثاق وإقرارهم من قبلهم، إنما هي حجج غير مقبولة على الإطلاق، فإنه يجب عليهم الأخذ بالعهد وعدم نقضه أبداً، فهذا ما غرزه الله فيهم، وكما قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ۝ (١) .

إذن، فمضامين هذه الآية الشريفة كما يلي:

أولاً: التمسك بالعهد والميثاق الإلهي المحتوم.

ثانياً: التمسك بربوبيته جلّ جلاله، وأنهم بعد إقرارهم بعدم

الاستغناء عنه غير قادرين على نقض هذا العهد.

ثالثاً: نستنتج منها على الذرّ، أي: إن الله أخرج ذرية آدم من

ظهره فخرجوا كالذرّ، فأشهدهم على أنفسهم وعرفهم نفسه، وأخذ

منهم الميثاق على ربوبيته، فتمت بذلك الحجة عليهم يوم القيامة.

وغيرها مما يمكن استنتاجه من هذه الآية الكريمة.

السؤال الرابع:

استدل إبراهيم عليه السلام على أن أقول القمر دليل على أنه لا يمكن أن يكون رباً في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾^(١)، ما جوهر هذا الاستدلال؟

بسمه تعالى:

يمكن أن نستنتج بعض الأمور من مجموع الآيات التي سبقت هذه الآية والتي أوردتها في السؤال، فإن إبراهيم عليه السلام كان يعيش في صغره في وسط مجتمع يعبد الأصنام من جهة ويعبد الشمس والقمر من جهة أخرى، أو قل يعبد الأجرام السماوية التي تظهر لهم في السماء، إلا أنه عليه السلام كان له رأي يخالف رأي قومه ورأي أبيه (آزر)، وكان يؤمن بالله الواحد القهار إيماناً قد لا يستطيع معه محاجة أهل بلده، فلذا كان من اللطف الإلهي تحصين (المُرسل) بلغة قومه وتزويده ببعض العلوم التي يستطيع معها إكمال رسالته على أتم وجه. وبما أن قومه كانوا يعبدون الأجرام السماوية

١- سورة الأنعام: آية ٧٧.

محتجين بنورها وفوائدها وكبرها وعلوها، وغيرها من الصفات التي قد يسندوها لإلههم آنذاك، فقد قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَليَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(١)، وخصوصاً إذا التفتنا إلى صغر سنه عليه السلام من جهة وكثرة ما يتعرض له قومه من جهة أخرى، فذلك كان اللطف الإلهي بأن التفت إبراهيم عليه السلام إلى الأجرام السماوية التي تمثل المعبود الأكثر آنذاك، مع الأخذ بنظر الاعتبار أنه عليه السلام كان على يقين بأن الله لا يحجب عن خلقه من جهة، وأنه واحد لا شريك له من جهة أخرى، مضافاً إلى صفات أخرى، كالتغيير والزوال. وبتعبير آخر: إنّ خليل الله كان على يقين بأن الأفول لا يُسند إلى الله جلّ جلاله، فإنّ الأفول من صفات الحادث، والحادث له بداية وله نهاية، وإنّ الله لا يمكن أن تُسند له مثل هذه الصفات الغير ربوبية.

لذا فإنه بمجرد أفول النجم ومن ثم القمر ومن ثم الشمس تيقن أنها مخلوقة حادثه، وأنّ خلفها يقف خالق عظيم قدرها وأحسن تقديرها، قال تعالى: ﴿ وَالشَّمْسُ بَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهٗا ذٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝٣٨ وَالْقَمَرَ قَدَرْنٰهُ مَنَازِلَ حَتّٰى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ۝٣٩ لَا الشَّمْسُ

١- سورة الأنعام: آية ٧٥.

يَبْغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا أَلَيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿١﴾ .

كل هذه المعلومات الخافية على غيره من أفراد قومه كانت حاضرة في ذهن نبي الله إبراهيم عليه السلام، لذا فإنّ الأفلو كان مقدمة ليقينه بوجود خالق، لذا قال عليه السلام: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٦﴾ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحِبُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢﴾﴾، فهذه الآيات تدل على زيادة يقينه من جهة، وصلابة موقفه من جهة أخرى، أعني صلابته وقدرته على محاججة قومه، فما عاد يتجنبهم من هذه الناحية.

فنعلم مما تقدم أن جوهر الاستدلال: هو أنّ كل حادث لا يمكن أن تستند إليه الربوبية، أو قل: إنّ كل زائل فهو حادث وكل حادث يحتاج إلى مُحدث، وهذا إن أسند إلى الله فيلزم منه التسلسل

١- سورة يس: آية ٣٨-٤٠.

٢- سورة الأنعام: آية ٧٩-٨١.

الباطل، فلا بد إلى أن نصل إلى رب الأرباب الذي لا يحتاج إلى غيره جلّ جلاله، وهذا هو الله فاطر السماوات والأرض. ثم إن إبراهيم عليه السلام لم يجعل هذا دليلاً لنفسه وزيادة في معتقده، بل جعله دليلاً لقومه على إبطال دعواهم، وهو مقتضى المحاجة.

السؤال الخامس:

ما معنى القاعدة التي ذكرها العلماء: «وجود الأثر يدل على وجود المؤثر»، هذه القاعدة التي من خلالها يتم إثبات وجود الله تعالى؟ وماذا يقصدون بقولهم: «إن دلالة الأثر تدل على خصوصيات المؤثر»؟

بسمه تعالى:

إن الأثر للشيء هو ما يدل على وجوده، فإن رأيت أثراً لأحد الأشخاص صار من المعلوم عندك وجوده، ولو كانت آثاره مستمرة حسب قوانين موضوعة، فهذا يدل على وجوده الدائم، فإن كل أثر يبقى ببقاء المؤثر، وكل أثر يزول بزوال مؤثره، فمثلاً الحرارة تزول مع زوال مصدر الحرارة، وهي في نفس الوقت باقية ما بقي مصدرها. ثم إذا دققنا النظر وأمعنا التفكير في الخلق، نصل إلى أن جميع الخلق حادث، حيث لولا الحدوث لكان أزلي وهو ليس

كذلك، وبما أنه زائل فهو حادث، وكل حادث يحتاج إلى مُحدث له، وهذا ما يوصلنا إلى الله سبحانه وتعالى، الذي ليس فوقه مُحدث، فإنهم وإن أسندوا بعض الأمور إلى مُحدث غير الله إلا أنهم سيضطرون في نهاية المطاف إلى أن من أسندوا إليه الأحداث أنه أيضاً محتاج إلى مُحدث فوقه، وهكذا إلى أن يوصلنا المطاف إلى الله سبحانه وتعالى، وهو لا يمكن إسناد الحدوث له، وإلا لزم التسلسل اللانهائي وهو مستحيل عقلاً ونقلًا.

إذن فهذا العالم أثر يدل على المؤثر، ولا نقف عند هذا الحد، بل نتقدم خطوة للأمام، فنقول: إن الأثر يدل على خصوصيات المؤثر، كما في كتاب قليل القيمة العلمية والثقافية فإنه يدل على وجود مؤلف من جهة، وإلى خصوصياته من جهة أخرى، كقلة إطلاعه وعدم تبخّره وقلة علمه وعدم علميته المعتمد بها، وما إلى ذلك، على عكس الكتاب الشامل الذي يدل على غزارة وعلمية المؤلف، وما إلى ذلك من صفات الخير، فكذلك الآثار الإلهية تدل على خصوصياته وصفاته الربوبية، وهذا يصلح كرد على بعض المُلحدّين والماديين الذين تناسوا الفرق بين صانع وآخر، فأنظمة الكون وجسم الإنسان وعوالم خفية كثيرة أخرى لَهِيّ البرهان

الأكبر على قدرة الصانع وجلالته.

السؤال السادس:

قال تعالى: ﴿ سَتُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمُ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ (١).

ما المقصود بالآيات الآفاقية والأنفسية؟

بسمه تعالى:

على قلة ما أملك من المصادر، إلا أنني اطلعت على بعض منها لكي أستخرج ما يفيد بهذا الصدد، وحسب فهمي: إن الآفاق: تعني هنا الحدود التي يمكن أن تُرى، ومنه أفق الشمس فهو آخر حد يُرى وهكذا.

ثم أنه قيل: إن الآفاق: المقصود منها (الناحية) أو النواحي، ولذا فسر بعضهم الآخر بأن المقصود بالنواحي هي الفتوحات التي جرت على يد الرسول ﷺ وخصوصاً فتح مكة لما فيه من دلالة حق عليه ﷺ بل ووقائع أخرى، إلا أن جميع ما فُسر من هذه الناحية يجمعه الوقائع الدنيوية المادية التي يمكن أن تكون دليلاً على إثبات شيء ما، ألا وهو الحق، وبطبيعة الحال فإن رسول الله ﷺ هو

١ - سورة فصلت: آية ٥٣.

أفضل مصاديق الحق لا محالة.

بل ويمكن السير خطوة إلى الأمام وهو أن نقول: إننا نحتاج إلى الآفاق لإثبات الحق المطلق ﷻ وهو الله بطبيعة الحال، وعليه فكل ما هو موجود في عالم المادة فهو دليل على وجوده ﷻ، فأفاق العالم وأقطار السماوات والأرض من الشمس والقمر والأجرام السماوية والمخلوقات من شجر وحجر كلها دلائل آفاقية على وجوده جلّ وعلا.

ومن كل ذلك يتجلى لنا أمر مهم وهو أن الآفاق متوقفة على التفكير، فرب آفاق والإنسان لا يتفكر بها فلا توصله إلى شيء على الإطلاق، فالوصول إلى الحق عن طريق الآفاق متوقف على التفكير بها والتبخر والتدقيق فيها، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾^(١)، فالتفكير في حد ذاته مُتَمِّمٌ للعبادة ومقدمة للوصول إلى الحق، فبدونه لا يمكن الوصول إليه، ألم تسمع قوله تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ

١- سورة آل عمران: آية ١٩١.

الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ ءَايَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا ﴿١﴾، وهذه الآية تثبت أن الإنصراف عن آيات الله وعدم التفكر في الآفاق مقدمة لعدم الوصول إلى الحق كما هو واضح.

السؤال السابع:

برهان النظم من البراهين التي تدل على وجود الله؟ ما هو؟ وهل وردت الإشارة إليه في القرآن والروايات؟
بسمه تعالى:

ورد أنه قال الديصاني للصادق عليه السلام: «دُلّني على معبودي؟ فقال له: إجلس، وإذا غلام له صغير في كفه بيضة يلعب بها، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: ناولني يا غلام البيضة فناوله إياها، فقال له عليه السلام: يا ديصاني هذا حصنٌ مكنون له جلد غليظ وتحت الجلد الغليظ جلد رقيق، وتحت الجلد الرقيق ذهب مائة وفضة ذائبة، فلا الذهب المائة تختلط بالفضة الذائبة ولا الفضة الذائبة تختلط بالذهب المائة، فهي على حالها لم يخرج منها خارج مصلح فيُخبر عن صلاحها ولا دخل فيها مفسد فيُخبر عن فسادها، لا يدري للذكر خلقت أم للأنثى، تنفلق عن مثل ألوان الطواويس، أترى لها مدبراً؟

١ - سورة الأعراف: آية ١٤٦.

قال: فأطرق ملياً ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأنت إمام وحجة من الله على خلقه وأنا تائب مما كنت فيه»^(١).

أقول: إن كانت نظم البيضة هذه وما أصغرها حجماً، دليلاً على الحق ووجود الله وإثبات النبوة والإمامة، فيا ترى ما حال ما كان أكبر منها، من النظم السماوية والأجرام السماوية وخلق الإنسان وجسمه ونموه وعدم زيادته ولا نقصانه إلا بقدر معلوم، وغيرها من عجائب الكون وغرائبه ومعجزه، ألا تكون دليلاً على وجود الله، فيمكنني القول: عجبت ممن يرى الخلق ولا يؤمن، أفي قلبه مرض أم به جنّة...!!!

ثم إن النظم قد ذُكرت في القرآن بصور عديدة جمعتها الآية الكريمة التي تقول: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ أَلْوَانِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَنَضْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(٢)، فكل

١- الكافي: ج ١، باب حدوث العالم وإثبات المحدث، ح ٤، ص ٨٠.

٢- سورة البقرة: آية ١٦٤.

هذه آيات لقوم يعقلون ويتفكرون.

السؤال الثامن:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ
وَالْمَلَائِكَةِ﴾^(١).

ما معنى السجود هنا؟ وكيف أن كل المخلوقات عالمة بوجود
إله لها، مع أن بعض الناس ليسوا بمؤمنين؟
بسمه تعالى:

هناك عدة تفاسير للآية الكريمة التي تقول: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظَلَمْتُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْأَصَالِ﴾^(٢)، وإنما ذكرتها
لأوجه الترابط بينهما، وخصوصاً بعد أن نعلم بأن المفسرين قد
قسموا السجود إلى قسمين:

الأول: اختياري، والثاني: إجباري.

فالأول هو سجود المؤمنين والمنقادين والمطيعين لله جلَّ
جلاله، وأما الثاني فهو سجود غيرهم من العاصين والمدننين الذين

١ - سورة النحل: آية ٤٩.

٢ - سورة الرعد: آية ١٥.

يتكبرون عن السجود، وفي ذلك اختلف المفسرون أيضاً، فقليل أن من جُبرَ على الإسلام فهو يسجد مجبراً، كسجود المؤمنين مادة لا هيئة، وما ذهب به بعضهم إلى كون السجود هنا: هو سجود المفسدين والضالين والمتكبرين، وذلك حين سقوط ضلالهم وباطلهم أياً كان، وهذا السقوط يشبه السجود بمعنى وآخر.

هذا ما ورد في بعض كتب التفسير، ولعله يفي ويكفي جواباً على السؤال، إلا أنني سوف أضيف بعض الأمور، من حيث أن السجود - وحسب فهمي - له مصداقان: الأول: السجود المادي، وهو سجود اختياري وسجود إجباري، كسجود المُكره والغافل وحتى السجود الذي لا تنقاد به الجوارح.

أما السجود الحقيقي: فهو سجود الجوارح وسجود النفس والعقل والروح، فهو بمعنى الإنقياد والطاعة والولاء بل والحب والعشق، ألم تسمع بقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوَّهٍ دَاخِرِينَ ﴾^(١)، وهذا يذكرنا بقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْخِجُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَالطَّيْرُ صَفَّتْ كُلُّ قَدِّ عِلْمٍ صَلَاتُهُ، وَتَسْبِيحُهُ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿١﴾، فليس كل من في الأرض والسماء يسجد له، بل ويسبحون وإليه يرجعون. فإن قيل: هذا حال المؤمنين والطائعين، وأما حال الكافرين والمشركين والملحدين وغيرهم يختلف تماماً فليسوا لله يسجدون. أقول: نستطيع عرض بعض الأطروحات المحتملة التي معها يتصور أن من ذكرت في الإشكال هم لله ساجدون، ومن هذه الأطروحات:

أولاً: أنهم يسجدون في عالم الذر، سواء سجد مادّي أو حقيقي، أعني به الإقرار بالعبودية، فكلُّ أقرِّ بالعبودية، سواء الكافر منهم أم المؤمن، ولا يجدر بك أن تغفل بأن السجود هنا بمعنى الإنقياد أوضح منه بمعناه المادّي المتعارف.

ثانياً: أنهم يسجدون سجوداً هم عنه غافلون، بمعنى انقيادهم الحقيقي إلى الله سبحانه وتعالى، وهم في كل ذلك غافلون، فليس من نفس إلهي محتاجة لله سبحانه وتعالى في كل مكان وزمان، وفي كل الآنات صَغُرَتْ أم كَبُرَتْ طالَتْ أم قصرت، فهم ساجدون لله بمعنى رجوعهم إليه في كل الأمور وهم عن ذلك غافلون، فهم

١- سورة النور: آية ٤١.

مصداق لقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ﴾^(١)، وبمعنى آخر أو كأطروحة أخرى، يمكننا القول بأن جوارحهم ساجدة ومنقادة إلى الله سبحانه وتعالى، إلا أن هناك موانع تمنعهم من السجود والانقياد والطاعة، أولها انغماسهم في الدنيا وابتعادهم عن الآخرة وعن الذكر وعن أمور أخرى هي تقربهم إلى الصلاح، فزاغوا فأزاغ الله قلوبهم وأبصارهم وجعلهم في ظلمات لا يبصرون، فهم صمُّ بكمِّ عميٍّ، بل كالأنعام، بل هم أضل سبيلاً.

ثالثاً: هم يسجدون لله في حالات الإضطرار وقد لا يخفى على البعض أن هذه الصفة أو الغريزة، أعني بها اللجوء إلى الله عزَّ وجلَّ في الشدائد يَسْتَدِلُّ بها البعض على إثبات وجود الله، عموماً، فهم يسجدون لله إذا اضطروا إلى ذلك سواء قصدوا في ذلك التقرب إليه أم إلى غيره، كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسِرُّكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أُنجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾^(٢٢) فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْعُونَ

١- سورة الروم: آية ٧.

فِي الْأَرْضِ بغيرِ الْحَقِّ يَتَأَيَّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَّعَ الْحَيَاةَ
الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١﴾.

رابعاً: إنما سجودهم ليس في عالم الدنيا، بل في عوالم أخرى، ولا يمكن التعمق بهذه الأطروحة إلا من باب واحد، ألا وهو سجودهم في يوم حسابهم وبعد مماتهم، سواء في عالم البرزخ أم فيما هو بعده، فخضوعهم للأوامر الإلهية في دخولهم لجهنم هو انقياد وطاعة أو قل نوع من أنواعها، كما لا شك في ذلك، إلا أنه يصح القول: أن كل هذه الأطروحات بناءً على تفسير السجود بمعنى الإنقياد، لا بالمعنى المادي أو السجود المتعارف من وضع الجبهة على الأرض وغيرها من الشروط.

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى وهي مؤيدة لتفسير السجود بالانقياد، هي قوله تعالى في نفس الآية: ((مِنْ دَابَّةٍ)) وهي كل ما يَدْبُ على الأرض، ولا يتوقع أحد من الدابة أن تسجد السجود المتعارف، بل هو أكيداً بمعنى الإنقياد ليس إلا فهذه الآية وغيرها من الآيات تدل على الإنقياد التام لله سبحانه وتعالى، إذن فالإيمان لا دخل له في السجود وعدمه.

١- سورة يونس: آية ٢٢-٢٣.

السؤال التاسع:

قال تعالى: ﴿...وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾^(١).

﴿...سُبْحٰنَهُ ۗ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾^(٢).

﴿...وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾^(٣).

ما معنى الوجدانية؟ ولماذا تقترن غالباً صفة الواحد مع صفة القهار؟

بسمه تعالى:

الوجدانية معناها: أن الله واحد لا ثاني له، ولكن لهذا عدة معاني:

الأول: إن الله واحد يستحيل في حقه التعدد والكثرة في الخارج وفي الذهن، وهذا ما يقابل الشرك الصريح.

الثاني: أن تؤمن بأن الله واحد ذاتاً ولا تركيب في ذاته، وتعبير آخر: أنه بسيط وغير مركب.

الثالث: إتحاد الصفات الإلهية مع عين الذات الإلهية، بل ونفي

١- سورة ص: آية ٦٥.

٢- سورة الزمر: آية ٤.

٣- سورة الرعد: آية ١٦.

الصفات الزائدة عن الذات، وهذا ما يسمى بتوحيد الصفات.

الرابع: وهو ما يسمى بالتوحيد الأفعالي، أي أن الله غير محتاج في أفعاله إلى أحد على الإطلاق، بل واستحالة ذلك عليه سبحانه وتعالى عما يشركون علواً كبيراً.

إلا أن الفرق واضح بين الأحدية والوحدانية، أو قل بين صفة الواحد وبين صفة الأحد، فقد قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(١) وهذه الصفة تعني أن لا تركيب في ذاته، فالأحدية تنفي التركيب، على عكس صفة الواحدية فإنها لا تنفي التركيب، بل لا يمكن معها فرض وجود التركيب في ذاته، لكن هذا في حد ذاته محل إشكال، فلذا تقترن القاهرة أو قل صفة القاهر مع الواحد، فإن القاهرة معناها أنه سبحانه وتعالى قاهر لعباده، وإذا اقترنت بالوحدانية فإن معناها قاهر للأغيار وقاهر للإثنية، فلذا هناك تلازم بينهما، فإن القاهرة تنفي الإثنية.

السؤال العاشر:

ما معنى الشرك في علم العقائد، وما معناه في علم الأخلاق، وما هو الجوهر الرابط بينهما؟

١- سورة الإخلاص: آية ١.

بِسْمِهِ تَعَالَى:

إن التوحيد هو أفضل الطاعات، ولذلك ورد: «إني أطعتك في أحب الأشياء إليك وهو التوحيد، ولم أعصك في أبغض الأشياء إليك وهو الشرك»^(١)، وقد اطلعنا سابقاً على أقسام التوحيد، وهي مختصراً: التوحيد الساذج، والتوحيد في الأفعال، والتوحيد في الصفات، والتوحيد في الذات، وإن ما يقابل هذه الأقسام هو: إما الشرك الخفي وهو على أنحاء:

الشرك في الذات: بأن تعتقد بوجود ذات مستقلة عن الذات الإلهية.

والشرك في الصفات: وهو الاعتقاد بوجود صفة مستقلة عن صفاته، وكذا الشرك في الأفعال.

وأما الشرك الجلي: وهو على أنواع:

أ- التعطيل: أي الاعتقاد بعدم وجود خالق.

ب- الاعتقاد بوجود غيره جل وعلا.

ج- الاعتقاد بوجود إلهين.

د- الاعتقاد بتعدد الذات الإلهية.

١- إقبال الأعمال: ج ١، ص ١٣١.

هـ- الشرك في العبادة أي وجود معبود غير الله سبحانه، بمعنى استحقاق المعبود الثاني للعبادة.

و- شرك الطاعة: بمعنى وجود من يستحق الطاعة غير الله سبحانه، أو قل أنه يطيع غير الله وغير من أمر الله سبحانه بطاعته. وحسب فهمي - والإنسان لا يتعدى فهمه- أن الشرك الأخلاقي: هو الشرك في الطاعة ما لم يكن مستمراً وحاصلاً على قناعة والتزام، ومنه الرياء في العبادة، فهو ليس شركاً في العبادة، وإنما شرك في الطاعة، إلا ما ندر من صور الرياء.

السؤال الحادي عشر:

ما هو الفرق بين الأسماء والصفات المنسوبة لله تعالى؟

وما معنى أنها توقيفية؟

وما معنى صفات الجمال وصفات الجلال؟

بسمه تعالى:

إن الأسماء التوقيفية، أي غير قابلة للزيادة، فلا يصح اجتهاداً وصفه جل وعلا بأسماء غيرها، بل يصح فقط بما جاء عن طريق الأحاديث والروايات، وما ورد في لسان الأدعية، أما ما كان خارجاً

عن هذا النطاق فلا يصح أن يكون داخلياً في أسماءه جلّ جلاله.

أما صفات الجلال: فهي الصفات السلبية، أو قل ما تنزه الذات الإلهية عن الاتصاف بها، مثل الجهل والعجز والجسمانية وغيرها.

السؤال الثاني عشر:

بعض الآيات مثل قوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾^(١)، ﴿وَبَقِيَ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾^(٢).

دفعت بعض الفرق الإسلامية للقول بأن الله تعالى جسم، هل التجسيم باطل؟ وإذا كان باطلاً ما هو التفسير المناسب لمثل هذه الآيات؟

بسمه تعالى:

نعم هو باطل أكيداً، وأستدل على ذلك بعدة أدلة، لكن المهم في البين معرفة أنه واجب الوجود، وواجب الوجود لا يحده مكان ولا زمان، وما لا يحده مكان فلا جسم له، وإلا كان محتاجاً إلى حيّز، ومعنى ذلك أنه محدود، وواجب الوجود لا يكون محدوداً، وبطبيعة الحال إن لم يكن واجب الوجود لا حتاج إلى واجب وجود

١- سورة الفتح: آية ١٠.

٢- سورة الرحمن: آية ٢٧.

غيره، وهذا يلزم منه التسلسل وهو باطلٌ عقلاً، فلا بد أن يكون هو المنتهى في الوجودات، وهو موجود لا كالوجود المتعارف، فهو ليس مادي فلا حيز ولا جسم ولا مكان ولا زمان.

السؤال الثالث عشر:

ما معنى البداء الذي تعتقد به الشيعة؟

بسمه تعالى:

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «من زعم أن الله تعالى بدا له في شيء بداء ندامة فهو عندنا كافر بالله العظيم»، وكذا ورد عنه عليه السلام: «لكل أمر يريد الله فهو في علمه قبل أن يصنعه، وليس شيء يبدو له إلا وقد كان في علمه، إن الله لا يبدو له من جهل»، كل هذه الروايات تسقط وتدفع الأقوال التي تريد المساس بالتشيع، وخصوصاً من يدعي على الشيعة بأنهم ينسبون الجهل إلى الله سبحانه وتعالى، ويفسرون تبني الشيعة للبداء بأنه نوع من الكفر، حيث يفسرونه بـ (الظهور بعد الخفاء)، أي أنه جل جلاله ما كان يعلم ثم علم، وهذا لا يصدر منه أكيداً، وكما عرفنا من الروايات التي ذكرناها.

متجاهلين في ذلك أن الشيعة إنما يفسرون البداء بـ النسخ في

التكوين لأجل مصلحة معينة، فقد قال تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِمَّا أَوْ مِثْلَهَا﴾^(٢)، وكذلك قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾^(٣)، كل هذه الآيات تدل على أن الله يمحو ويبدل وينسخ ما كان مثبتاً وموجوداً في مكنون علمه ومخزونه، فلا جهل في ساحته سبحانه وتعالى عما يشركون.

إذن، كذب من ادعى على الشيعة بأنهم ينسبون الجهل إلى الله سبحانه، بل هم لا يثبتون لله إلا العلم والقدرة على النسخ إذا أراد ذلك، فهو يقول للشيء كن فيكون بيده الخير وهو على كل شيء قدير.

السؤال الرابع عشر:

على قولكم هذا كيف ينسجم مع قولنا: إن الله عالم بكل شيء قبل حصوله، هل معناه أن علم الله تعالى يتغير؟

١- سورة الرعد: آية ٣٩.

٢- سورة البقرة: آية ١٠٦.

٣- سورة النحل: آية ١٠١.

بسمه تعالى:

اعلم أخي السائل، أن المصالح والمفاسد بيده سبحانه وتعالى، فهو أعلم بها وبما يترتب على أوامره من مصالح، وعلى فعل نواهيه من مفساد -إن جاز لنا التعبير- وهذه المصالح والمفاسد قد تكون بلا أمد محدود وقد تكون طويلة الأمد وقد تكون قصيرة الأمد، فهو اللطيف الخبير الذي لا يسنّ قانوناً ولا يأمر أمراً ولا ينهى نهياً إلا ما تترتب عليه المصالح وتُدفع فيه المفاسد، فإذا تغيرت تلك المعطيات التي كان فعل ذلك الشيء يؤدي إلى المصالح وتركه إلى المفاسد، وصار فعله يؤدي إلى المفاسد وتركه يؤدي إلى المصالح، كان من باب اللطف الذي يملأ ساحته والرحمة التي وسعت كل شيء أن يبدّل الأمر نهياً والنهي أمراً، وينسخ ما كان إلى ما يكون، وإلا فإن استمرار أمره ونهيه يكون قبيحاً منه جل عن ذلك سبحانه.

وإضافة إلى ذلك، فإن مَنْ يقول باستحالة البداء على هذا النحو - الذي يتبناه الشيعة-، فإنه قد ينسب إلى الله شيئاً قبيحاً، وأقل مراتبه الظلم وهو بطبيعة الحال أمراً محرماً أكيداً.

وأعني بذلك، بأن الشيعة ليسوا هم من يَنْسِبون الجهل إلى الله سبحانه، بل إن أعدائهم هم من يَنْسِبُ الظلم إلى الله سبحانه وتعالى

عما يشركون علواً كبيراً.

السؤال الخامس عشر:

إن التطور العلمي جعل البعض يعتقد بأن من قابلية الإنسان حينما يقوم بزرع عضو للمريض أو صناعة الجهاز المتطور، أن في ذلك خلق وعليه فإن الخالقية ليست منحصرة في الله تعالى؟ كيف نرد على هؤلاء؟

بسمه تعالى:

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبٌ مِّثْلُ مَا سَمِعُوا لَهُ إِذْ كَانُوا الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ. وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿١﴾، فإنه مهما وصل الإنسان في مراتب العلم والحضارة والتطور والتكنولوجيا وغيرها من الأمور المدعاة، فإنه يبقى صفرًا أمام علم الله سبحانه، فهو خالقهم، وهم لا يستطيعون نفع أنفسهم ولا ضررها، بل هم إليه يرجعون.

وليس أهل الباطل هم من لا يستطيع الخلق فحسب، بل حتى أهل الحق على الرغم من أنهم لم ولن يدعي أحد منهم الخلق من

١- سورة الحج: آية ٧٣-٧٤.

دون الله، ومن ذلك قول عيسى ابن مريم عليه السلام: ﴿أَتَىٰ أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾^(١)، فهذه الآية تنص على أن الخلق منوط بإذن الله، على الرغم من حدوثه من غيره سبحانه، فقد قال تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(٢)، فهذه الآية أيضاً تدل على تعدد الخالق، إلا أن رجوعهم إليه لا محالة، فالمخلوق عندما يخلق بصورة أو بأخرى فهو يرجع بذلك إلى خالقه.

ونحن إذ ننفي الخلق، أو الخالقية إلا عنه، فإنما ننفي ما كان خارجاً عن إذنه جل جلاله وعلا شأنه وخفي أمره، وإلا فما كان داخلياً في إذنه فهو ممكن على قلته وندرته في التاريخ.

لكن لا يفوتنا أن مثل ما ذكر في السؤال، فهو ليس خلقاً وإنما مجرد تمييز وإعطاء دواء وما إلى ذلك، وإلا فإنهم إن ادعوا ذلك فإنهم يذكرونا بما ادعاه قبلهم النمروذ حينما قال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ الَّذِي

١- سورة آل عمران: آية ٤٩.

٢- سورة المؤمنون: آية ١٤.

حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِي بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١﴾ ،
 ففي هذه الآية لم يرد نبي الله إبراهيم على النمرود بالنفي حينما ادعى الخالقية، فإنه كان يعني بالخالقية هنا، أن أمر إبقاء حياتهم أو أمر قتلهم بيده، فيكون هو الخالق لكونه يستطيع الحفاظ على حياتهم وهو من يميئهم باعتباره مستطيعاً لقتلهم وبدون أي حجة، فهذا أيضاً ليس من الخالقية في شيء، فإن المفسرين قد فسروا معنى الخلق: بجمع أجزاء الشيء، وأضيف إعادة الحياة له أو إعطائه الحياة من جديد بعد هذا التجميع، كما فعل نبي الله إبراهيم حين وزع أجزاء الطير - خلافاً لمن ادعى أنه وزع الطيور دون تقطيع - فإن الخلق مبني على جمع قطع الشيء، ثم دعاها إليه بكلمة معينة فَجِئْنَا سَعِيَا.

وإن أردنا أن نعطي مختصراً فنقول: إنهم لا يستطيعون الخلق إلا بإذنه سبحانه وتعالى، وما جاءوا به -أو قل ما ذكر في السؤال- وإن كان جمعاً للأجزاء والأبعض إلا أنه ليس فيه موت وحياة فلا

١- سورة البقرة: آية ٢٥٨.

يكون خلقاً بالمعنى الحقيقي.

السؤال السادس عشر:

إذا كان الله خالق كل شيء، فهل معناه أن فعلي وعملي مخلوق لله؟ وهل معنى أنني مجبر على أي عمل؛ لأن الله خالقه؟ فلماذا إذن يحاسبني على شرب الخمر والسرقة إذا كان هو الفاعل والخالق الحقيقي لكل شيء من هذه الأفعال؟

بسمه تعالى:

هذا السؤال يدفنا إلى توضيح أمر مهم قد تطرَّق إليه أكثر علمائنا (قدس الله أسرار الماضين منهم، وأطال الله أعمار الباقين منهم وامتعنا الله بعلومهم وأوامرهم ونواهيهم)، وكلامهم فيه مستفيض، على الرغم من أن عوام الناس يستصعبونه ويرونه عسيراً. كلا، فإن مثاله واضح كالسائر بكامل إرادته عالماً عامداً نحو جهة معينه، فإذا بواد وهو غير ملتفت إليه فهوى وسقط في الوادي، فسيره الأول مختاراً وسقوطه إلى الوادي مجبراً غير مختار، وكذلك التفسير الأوضح والأشهر وليس الوحيد صحةً، هو ما تبناه بعض علمائنا الأعلام وأظنه العلامة المجلسي رحمته الله، حيث قال: بأن ما تضمنته الروايات والأخبار، من أن الجبر المنفي عند الأشاعرة والتفويض

المنفي عند المعتزلة - وهم أشهر من تبناوا النفي والإثبات في قضية إسناد الجبر أو التفويض للإنسان - هو: أنه تعالى أوجد العباد وأقدرهم على أفعالهم وفوض إليهم الاختيار، فهم مستقلون بإيجادها على وفق مشيئتهم وقدرتهم وليس لله سبحانه في أعمالهم صنع، وأما الأمر بين الأمرين فهو: إن لهديته تعالى وتوفيقاته مدخلاً في أفعالهم، بحيث لا يصل إلى حد الإلتجاء والإضطراب، كما أن لخدلانه سبحانه مدخلاً في فعل المعاصي وترك الطاعات، لكن لا بحيث ينتهي إلى حد لا يقدر معه على الفعل والترك، وهذا ما يجده الإنسان في سائر أفعاله ومختلف أحواله... إلى آخره.

إذن فشرابهم للخمر وسرقتهم هي أفعال مستقلة عن إرادة الله، وقد فوضهم الله بها، إلا أن غاية الأمر أنه سلبهم التوفيق والهداية شيئاً ما بحيث لا يؤثر عليهم جبراً ولا تفويضاً تامين، بل وصلوا إلى الخذلان أيضاً لا على نحو إجبارهم على الترك أو الفعل، وما ذلك إلا بعد أن نراهم يسعون خلف المحرمات من شرب الخمر والسرقة وغيرها من الآثام التي يترتب عليها الكثير من الآثار السلبية، التي بالتالي تسلب التوفيق وتقربنا إلى الخذلان وسوء التوفيق.

وأثناء مطالعتي لبعض المصادر وجدت لك أخي السائل -بل

لكل من يريد الاستفادة - هذه الرواية التي استهوتني، ففيها الفائدة الجمة فيما يخص موضوع الجبر والتفويض، ألا وهي الرواية التي ذكرتها الكثير من الكتب منها الكافي والاحتجاج وغيرها.

فما ذكر في الكافي: عن الصادق عليه السلام قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام جالساً بالكوفة بعد منصرفه من صفين إذ أقبل شيخ فجتا بين يديه، ثم قال له: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن مسيرنا إلى أهل الشام أبقضاء من الله وقدر؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أجل يا شيخ ما علوتم تلة ولا هبطتم بطن واد إلا بقاء من الله وقدر.

فقال له الشيخ: عند الله أحسب عنائي يا أمير المؤمنين؟

فقال له: مه يا شيخ! فو الله لقد عظم الله الأجر في مسيركم وأنتم سائرون وفي مقامكم وأنتم مقيمون وفي منصرفكم وأنتم منصرفون ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ولا إليه مضطرين.

فقال له الشيخ: وكيف لم نكن في شيء من حالاتنا مكرهين ولا إليه مضطرين. وكان بالبقاء والقدر مسيرنا ومنقلبنا ومنصرفنا؟

فقال له: وتظن أنه كان قضاء حتماً، وقدرًا لازماً؟

إنه لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب والأمر والنهي والزجر من الله وسقط معنى الوعد والوعيد، فلم تكن لائمة للمذنب ولا محمداً للمحسن، ولكان المذنب أولى بالإحسان من المحسن، ولكان المحسن أولى بالعقوبة من المذنب، تلك مقالة إخوان عبدة الأوثان وخصماء الرحمن وحزب الشيطان وقدرية هذه الأمة ومجوسها. إن الله تبارك وتعالى كلف تخيراً ونهى تحذيراً وأعطى على القليل كثيراً ولم يُعصَ مغلوباً ولم يُطعَ مكرهاً ولم يُملكَ مفوضاً ولم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً، ولم يبعث النبيين مبشرين ومنذرين عبثاً، ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار.

فأنشأ الشيخ يقول:

أنت الإمام الذي نرجو بطاعته

يوم النجاة من الرحمن غفرانا

أوضحت من أمرنا ما كان ملتبسا

جازاك ربك بالإحسان إحساناً^(١)

وفيهما بعض الإضافات في الكتب الأخرى فإن شئت فراجع.

١- الكافي: ج ١، ص ١٥٥.

السؤال السابع عشر:

يوصف الله بالحكيم، ولكن يقول البعض إن هناك أموراً مخلوقة لا توجد منها فائدة أو حكمة، كالزائدة الدودية، أو هذا العدد الهائل من الحشرات أو الكواكب؟
بسمه تعالى:

بعد أن تعلم بأن هناك مخلوقات أُخر قد يخطر في بال الإنسان أنها ليست ذات فائدة، وخصوصاً مع صغر حجمها وقد لا ترى بالعين المجردة، بل وإن هناك خلقاً لم نره على الإطلاق، كما قال تعالى في محكم كتابه: ﴿وَالْحَيْلَ وَالْغَيَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١)، لكن لا يخطر على بال أحد، من أن هذه الحكمة أو ما يترتب عليها من أن الخلق لا يكون بلا فائدة، بل وإن الخلق لا يكون سفهياً، معناه ولازمه أننا نعلم كل الفوائد ونحصيها، بل كما أننا لم نُحص الخلق، بل ما كان خفي علينا أعظم، فإنه يخلق ما لا نعلم، فكذلك بعض فوائد ما يخلق خفية علينا، فعلمنا لا يسع علمه بطبيعة الحال، فهو عالم ليس كالعالمين وعلمه ليس فوقه علم، بل هو منتهى العلم. فنحن كمخلوقين نحصي بعض الفوائد وتخفي

١- سورة النحل: آية ٨.

علينا فوائد أكثر، مضافاً إلى أمر مهم جداً، ألا وهو: لا يشترط في الفائدة أن تكون آنية، بل قد تكون مستقبلية، ولا يشترط أن تكون نوعية، بل قد تكون الفائدة لجهة معينة ولنوع معين دون آخر، ولا يشترط بها أن تكون للإنسان فقط، فَرُبَّ فوائد تنهل منها المخلوقات الأخر ونحن عنها غافلون.

ومن يدعي أن هناك مخلوقات لا فائدة منها، إنما هو يعلن قصوره وجهله أمام العلم الإلهي، ولا يثبت بذلك عدم الحكمة لله سبحانه وتعالى، إذن فليصمت، وليعترف بأنه قاصر عن الإلمام بكل الفوائد الإلهية من خلقه. ولست هنا بصدد تعداد فوائد ما ذكرت وما لم تذكر، لكنني فقط أردت توضيح بعض الأمور وأسأل الله أنها قد وضحت بالفعل، وأرجو أن لا تكون الأثانية من الإنسان هي الغريزة الوحيدة التي تتغلب عليه من هذه الناحية، فإن الله قد سَخَّرَ للإنسان ما شاء الله من الفوائد، أفلا يُسَخَّرُ لغيره من الفوائد، وخصوصاً أنها لا تتعارض ووجود الإنسان، بل وحتى أطماعه وغرائزه وشهواته. وقد يتناسى البعض أن من الفوائد فوائد معنوية وليست مادية، مثل خلق الذباب الذي جعله الله إذلالاً للجبابرة، كما هو مروي في بعض الروايات عن المنصور حينما سأل: لماذا خلق الله الذباب؟

فأجيب: ليدل به الجبارة.

وهكذا من الفوائد قد تخفى على الكثيرين.

السؤال الثامن عشر:

ما معنى أن الله تعالى متكلم؟ وهل يحتاج في كلامه إلى وسيلة، كما نحتاج نحن للسان، وما معنى أن القرآن كلام الله، وما

معنى الآية بوصف عيسى عليه السلام: ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾^(١)؟

بسمه تعالى:

وردت مادة كلام في القرآن الكريم كثيراً، قال تعالى:

﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾^(٢)، وكذلك قوله عز ومن قائل:

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ

يَخْتَلِفُونَ﴾^(٣)، ووردت بلسان آخر: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى

تَكَلِّمًا﴾^(٤)، وكذلك ما ذكر في متن السؤال، وحسب فهمي أن

الكلمة هنا بمعنى القضاء أو الأمر، كما في: ﴿أَمَرَ آلًا تَعْبُدُوا إِلَّا

١- سورة النساء: آية ١٧١.

٢- سورة التوبة: آية ٤٠.

٣- سورة يونس: آية ١٩.

٤- سورة النساء: آية ١٦٤.

إِيَّاهُ ﴿١﴾، أي أصدر كلمته وأمره، والكلمة يمكن أن تكون كما في ألفية ابن مالك، حينما يقول: (وكلمة بها كلام قد يؤم)، أي يقصد بها الكلام المركب من عدة مفردات أو كلمات، وليس الكلام الصادر من الله، هو كالكلام الصادر من المخلوق، إذ لا يحده جسم ولا مكان ولا زمان ولا أين.

لكن قد تكون الآيات القرآنية كلامه، أو الأعم من ذلك، أعني الأعم من القرآن الكريم، كالأحاديث القدسية بل والنبوية وغيرها. وكذلك قد ينطبق على الذكر والكتب السماوية مطلقاً، فإن كل ما هو صادر من الله فهو كلامه، والكلام إنما نُسبَ إلى الله بهذه الصيغة لتقريبها للأذهان والأفهام البشرية ليس إلا، وإلا فهو ليس كلام ككلام البشر أكيداً.

فكلامه جل جلاله لا يصدر منه بالمباشر، بل إما عن طريق وحي أو نبي أو إمام أو صالح، أو حتى مرجع، وهكذا، بل قد يكون الباطل ناطقاً للحق، ألم تسمع: (نطق الحق على لسان الباطل)، وكما أن الأفعال الحقة تصدر من أهل الباطل، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمْ

١- سورة يوسف: آية ٤٠.

تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ (١)،
فكذلك الكلام، فلا أفعال مادية تصدر منه ولا كلام مادي يصدر
منه على الإطلاق.

ومما ذكر تفسيراً لذلك: هو أن كل الموجودات هي كلمة الله
على الإطلاق، وإن كل كلمة تصدر منه جلّ وعلا، لا تصدر إلا عن
طريق الوجودات التي هي حاضرة عنده منذ الأزل، ثم تترشح شيئاً
فشيئاً، وتخرج إلى عالم الوجودات المادية أو غيرها، فعلمه وكلامه
تام من الأزل وإلى الأبد.

السؤال التاسع عشر:

من القواعد العقلية قبح العقاب بلا بيان، وقبح التكليف بما لا
يطاق، فما معنى ذلك؟
بسمه تعالى:

هما قاعدتان عقليتان منفصلتان، أما القاعدة الأولى: (قُبِحَ
العقاب بلا بيان)، فهي قاعدة يتبناها المشهور من الأصوليين،
وتنعكس على الكثير من فتاواهم في بعض الأحيان، ومعناها: إنَّ
العقاب الأخروي أو حتى الدنيوي لا يكون إلا بعد البيان، إلا أنهم

١- سورة الأنفال: آية ١٧.

اختلفوا في معنى البيان، فقد قيل: إنه بمعنى الصدور وإن لم يصل إلى المكلف، وقيل: أنه الوصول بعد صدوره.

وبناءً على الأول: يقبح العقاب ما لم يكن هناك أمر قد صدر منه جلّ جلاله، فلا معنى للعقاب على فعل شيء لم تصدر فيه الحرمة، كالعقاب على شرب الماء في أوقات إباحته.

وأما على الثاني: فهو قبح العقاب بلا وصول البيان للمكلف، أي ما دام التكليف غير واصل للمكلف فلا عقاب، حتى مع صدور التكليف واقعاً.

ومقتضى هذه القاعدة هي براءة ذمة المكلف، أي أن المكلف بريء عن الإتيان بهذا التكليف الغير واصل، واستدلوا على ذلك بعدة أدلة عقلية، إلا أن المسلك الثاني لا يرجح البراءة العقلية في ذلك، بل إن (حق الطاعة) يقتضي الاحتياط العقلي في موارد الشك في الحكم الشرعي، لكن على تفصيل لا يسعنا ذكره هنا، فإن شاء القارئ الاستزادة فليراجع كتب الأصول والكتب الاستدلالية وغيرها.

وأما القاعدة الثانية: (قبح التكليف فيما لا يطاق)، وهي قاعدة عقلية أيضاً وقد نص عليها القرآن، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا

إِلَّا وَسَعَهَا^(١)، فالتكليف بما لا يطاق محال عليه جلّ جلاله، فإنّ كل خارج عن المستطاع فهو غير قابل للإتيان به، فالله لا يكلف بأمر غير قابل للإتيان، ولا أقل من أنه سيكون عبثاً لا محالة.

ثم اعلم أن هذه القاعدة قاعدة عقلية لا دخل للشرع فيها، غاية الأمر أن الشارع أقرّها تبعاً للقواعد العقلية، إذن ليس للشارع رفعها على الإطلاق، كقاعدة الحسن والقبح العقليين، التي تنصّ على قبح الظلم وحسن العدل، فليس للشارع رفعها أو تبديلها كما هو واضح.

السؤال العشرون:

الله خير ولا يخلق الشر، فلماذا نجد أن بعض الموجودات توصف بأنها شر، مثل الشيطان والخمر؟
بسمه تعالى:

لذلك عدة أجوبة، وهي تأتي على مستويين:
المستوى الأول: الإثبات، أي أننا نسلم جدلاً بأنّ الله يخلق الشر، وذلك بعد أن نعرف أن خلق الشر قد يُنتج فوائد:
الأول: إنها تُظهر قدرة الله تعالى، فكما أنه سبحانه قادر على خلق الخير فهو قادر على خلق الشر على حد سواء، إلا أنه قد فَضَّلَ

١- سورة البقرة: آية ٢٨٦.

الخير على الشر، وهذا يُدكرني بمبدأ اللاتفریط الذي تبناه السيد الوالد في بعض كتبه، حيث قال تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(١)، ومعناه وكما ذكر السيد الوالد بأنّ القرآن يحتوي على كل شيء سواء كان خيراً أو شراً.

الثاني: إنّ الله قد خلق الشر لاختبار الناس وبلائهم وابتلائهم، ولكي يميزوا بين الحق فيتبعوه وبين الباطل فيجتنبوه، وإلاّ فإنه سبحانه لو كان قد خلق الخير فقط لما استوجب خلق النار، وإنّ العقاب والاختبارات والتمحيصات تسقط تبعاً. ففي خلق الشر فائدة ألا وهي التمحيص.

أما الجواب الثاني: الذي يستلزم نفي خلق الشر فكالاتي:
الأول: الشر ليس متأسلاً فيما خلق، وإنما هو بسبب أفعال المخلوق، لا بسبب خلقه الخالق، فالشيطان خلق كباقي الخلق مفطوراً على الخير، إلا أنه وبتصرفاته وعصيانه صار شره غالب على خيره، قال تعالى: ﴿يَدْعُوا لِمَنْ صَرَّهُمْ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِمْ لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ

١- سورة الأنعام: آية ٣٨.

الْعَشِيرُ ﴿١﴾، وكذلك ما ذكر في السؤال أعني (الخمير)، ولذا قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ ﴿٢﴾، فهي في الأصل مخلوقات خلقت للخير، ثم أستعملت من البعض للشر، أو أن الشر كان بسبب أفعالها وعصيانها، إلا أن هذا الجواب هو جواب نفي، وليس أحد أجوبة الإثبات بطبيعة الحال.

الثاني: إن الشر الصادر منه أو بمقتضى حكمته لا يكون شراً، بل هو الخير بعينه، ألم تسمع قوله تعالى: ﴿وَمَكْرُؤًا وَّمَكْرَ اللَّهِ﴾ ﴿٣﴾ فبعد التسليم بأن المكر شر، فإن صدوره منه جل وعلا، ليس شراً وخصوصاً أنه مكر بالماكرين وظلم للظالمين وشر للأشرار. فيمكننا القول بأن الشر الصادر منه خيرٌ في حد ذاته تارة، وأنه خير؛ لأنه مقابل شرٍ آخر، فهو خيرٌ لا محالة.

السؤال الحادي والعشرون:

إذا كان الله لا يكلف بما لا يطاق، كيف سأل الملائكة ما لا

١- سورة الحج: آية ١٣.

٢- سورة البقرة: آية ٢١٩.

٣- سورة آل عمران: آية ٥٤.

يعلمونه حين قال: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ۝

بسمه تعالى:

هذا المبحث قد يَجْرُنَا إلى مبحث العالم والجاهل، وتقسيم الجاهل إلى قاصر وإلى مقصر، وإلاّ ليس كل من ادّعى أنه جاهل بحكم معين، فهو يسقط التكليف عن كاهله، فَرُبَّ جاهل مقصر، نعم، يمكن القول أن الجهل لا عن تقصير بل عن قصور هو ما يسقط التكليف، وما ذكر في السؤال لعله من الجهل التقصيري لا القصوري، إلاّ أننا يمكننا الجواب بأسلوب وطريقة أخرى لعلها تكون شافية أكثر من هذا الجواب، وخصوصاً يمكن القول بأنّ عدم علمهم لم يكن عن تقصير، بل هو عن قصور، حيث لم يكونوا مستطيعين لتعلم الأسماء التي علمها الله سبحانه لآدم، ودفعاً لهذا الإشكال نجيب بجواب آخر:

إنّ توجيه السؤال للملائكة كان بعد أن وجهوا بعض الاعتراضات على جعل خليفة في الأرض، حيث قالوا: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا

١- سورة البقرة: آية ٣١-٣٢.

مَنْ يُفْسِدْ فِيهَا وَيَسْفِكِ الدِّمَاءَ ﴿١﴾، فكان سؤالهم لتبيان خطأهم واشتباهم أو قل لسوء فهمهم وقلة إدراكهم أمام العلم الإلهي، فوجه لهم سؤالاً لا يكون جوابه إلا لصالح المستدل، لإيصالهم إلى نتيجة هي أنهم لا يعلمون كل شيء، وإن علموا أن جعل الخليفة فيه إفساد فهذا ليس منتهى العلم، بل إن فوجه علم، وكما قال تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٢﴾﴾، فلذلك قد أفحموا وأجابوا: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ﴿٣﴾﴾، فظهر الحق وأنهم كانوا قد أساءوا الفهم شيئاً ما.

فهو سؤال في مورد الإثبات كما يعبرون.

السؤال الثاني والعشرون:

الله تعالى يرضى من طاعة العبد ويغضب لمعصيته، فهل معنى ذلك أن ذاته المقدسة تتغير بين تارة وأخرى؟
بسمه تعالى:

ليس المراد من الرضا والغضب، الإنفعالات النفسية والخلجات

١- سورة البقرة: آية ٣٠.

٢- سورة يوسف: آية ٧٦.

٣- سورة البقرة: آية ٣٢.

الروحية التي تصاحب النفس الإنسانية في حالات معينة، فالآية الشريفة تقول: ﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾^(١)، ليس معناها الغضب الإنساني الشهوي الذي تتحكم به النفس.

ثم اعلم أن مثل هذه الأمور، كالغضب والرضا لا تَمُتُّ إلى الذات الإلهية بصلة، بل هي بعيدة عنها كل البعد، إذن فتغير الصفة لا يعني تغير الذات على الإطلاق.

السؤال الثالث والعشرون:

قال تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾^(٢)، من هو الذي رمى، وما معنى الآية عقائدياً؟
بسمه تعالى:

قال صاحب الميزان: «إن الآية تشير إلى وقعة بدر، وما صنعه رسول الله ﷺ من رميهم بكف من الحصى، والمؤمنون بوضع السيف فيهم وقتلهم القتل الذريع»^(٣)، ثم يقول: «يتحصل أن المراد بقوله: ﴿فَلَمْ نَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ﴾

١- سورة البقرة: آية ٦١.

٢- سورة الأنفال: آية ١٧.

٣- تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، ج ٩، ص ٣٨.

اللَّهِ رَحْمَى ﴿١﴾، نفي أن تكون وقعة بدر وما ظهر فيها من استئصال المشركين والظهور عليهم والظفر بهم جارية على مجرى العادة والمعروف من نواميس الطبيعة، وكيف يَسْعُ لقومٍ هم شردمة قليلون، ما فيهم على ما روي إلا فرس أو فرسان وبضعة أدرع وبضعة سيوف، أن يستأصلوا جيشاً مجهزاً بالأفراس والأسلحة والرجال والزاد والراحلة، هم أضعافهم عدّة، ولا يقاسون بهم قوة وشدة، وأسباب الغلبة عندهم، وعوامل البأس معهم، والموقف المناسب للتقدم لهم. إلا أن الله سبحانه بما أنزل من الملائكة ثبت أقدام المؤمنين وأرعب قلوب المشركين، وألقى الهزيمة بما رماه النبي ﷺ من الحصاة عليهم فشملمهم المؤمنون قتلاً وأسراً، فبطل بذلك كيدهم وخمدت أنفاسهم وسكنت أجراسهم.

فحري أن ينسب ما وقع عليهم من القتل بأيدي المؤمنين والرمي الذي شتت شملهم وألقى الهزيمة فيهم إليه سبحانه دون المؤمنين.

فما في الآية من النفي جارٍ مجرى الدعوى بنوع من العناية، بالنظر إلى استناد القتل بأطرافها إلى سبب إلهي غير عادي، ولا ينافي ذلك استنادها بما وقع فيها من الوقائع إلى أسبابها القريبة

١- سورة الأنفال: آية ١٧.

المعهودة في الطبيعة بأن يُعَدَّ المؤمنون قاتلين لمن قتلوا منهم،
والنبي صلى الله عليه وآله رامياً لما رماه من الحصاة»^(١).

أقول: تبين أن الآية تبين السبب الرئيسي والفعال والأكبر من
بين الأسباب التي معها انتصر المؤمنون على عدو الله وعدوهم، إلا
أنّ هناك سبب مباشر وهو الرسول صلى الله عليه وآله ومن معه من المقاتلين الذين
باشروا العمل بأيديهم، إلا أنه وبسبب خرق بعض القواعد الطبيعية
نسب العمل إلى الله سبحانه وتعالى دون المؤمنين.

السؤال الرابع والعشرون:

أنا أعمل فأحصل على أموال، ثم أشتري طعام وملابس
وحاجيات لأسرتي، إذن أنا الرازق لهم، هل هذا صحيح؟
وكيف ينسجم مع التوحيد في الرازقية؟
بسمه تعالى:

إنّ الإنسان يكون سبباً من أسباب الرزق، وهذا ما تدل عليه
الآية الشريفة في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾^(٢)، أي من ناحية
الأسباب، إلا أنه مسبب الأسباب، فقد قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ

١- تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، ج ٩، ص ٣٨ - ٣٩.

٢- سورة الجمعة: آية ١١.

مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ^(١)، إذن فيمكننا القول إنّ السبب الرئيسي في الرزق هو الله، وهناك أسباب ثانوية للرزق وهي أغلب الأحيان تكون من قبل المخلوقين فيما بينهم. مضافاً إلى أنّ صفة الرازق مختصة به حسب الارتكاز الديني - لو صح التعبير -.

ثم اعلم أنه لولا رزق الله لما أمكن الضرب في الأرض لكسب رزقك، إلا أنّ هذا لا يعني الجبر، فإنّ الله وفر لك أبواب الرزق، وتفوض أمر السعي للرزق منوطاً بك، فإن شئت السعي وكنت مستحقاً للرزق حصلت على رزقك وقوتك، وإلا فلا.

وبتعبير آخر: فإنّ الله خالق الرزق وأنت الساعي وراء ذلك الرزق، أفيكون الساعي هو الرزاق من دون خالق الرزق؟!.. كلا أكيداً، بل إليه يرجع الرزق وخالقه.

السؤال الخامس والعشرون:

تقوم الدول على أسس وأنظمة اقتصادية دقيقة أنتجت نتائج كبيرة، مما أدى أن الكثيرين يشكك في أن التدبير منحصر بيد الله تعالى؟ كيف نناقش هؤلاء؟

١- سورة سبأ: آية ٢٤.

بِسْمِهِ تَعَالَى:

هذا وإن كان جوابه قد تبين من الأجوبة السابقة، إلا أنه يمكننا أن نزيد على ذلك، فقد قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُظْلَمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(١)، وإنما أوردت هذه الآية هنا لكي أصل بها إلى نتيجة تفيدنا في المقام، وهي: أنه مهما تصور الإنسان أنه قد بلغ من العلم والتطور الشيء الكبير، فهو في تخلف كبير من هذه الناحية، كما قال أحد العرفاء رحمته الله: «إن التطور دلالة على التخلف»، فالمتطور لا يتطور بطبيعة الحال، إذن فتأخرها أمام الله تتصاغر مهما كبرت بأعين السذج من الناس.

على أن لا ننسى أمراً مهماً آخر، وهو أن الله وبمقتضى لطفه ورحمته قد وفر لنا جميع أبواب الرزق، فهذا هو تدبيره أما إيصال الرزق فمנוط بأمرين مهمين، كما قلنا سابقاً: وهما السعي والاستحقاق.

وقد قسم الرزق بصورة عامة إلى رزق حلال والى رزق حرام،

١- سورة الروم: آية ٩.

وحيث أن الله سبحانه لا يظلم مقدار ذرة، فمحال منه أن يرزق الإنسان رزقاً محرماً، فينحصر رزقه بالرزق الحلال فقط، وأما الرزق الحرام فهو ينتج لسوء سعي الإنسان، أو لاستحقاقاته الظلمانية التسافلية.

ومما هو واضح، أن أغلب الأنظمة الاقتصادية الحالية نُظْم تنتج الرزق الحرام بصورة أو بأخرى، وهذا لسوء سعيهم وسوء نُظْمهم وسوء عقولهم حتى، فإن العقل البشري قاصر ليس في وضع الدساتير والقوانين المدنية والعسكرية والجنائية فحسب، بل قاصر حتى في الأنظمة الاقتصادية أيضاً.

ومهما توصل الإنسان إلى نُظْم قد توصله مؤقتاً إلى نتائج قد يراها مفيدة، وأرباح قد يراها كثيرة، إلا أن هذا لن يدوم، فالنتائج عن أنظمة أساسها واهية تكون واهية بعد حين، وهذا فعلاً ما يحدث لهم من أزمة اقتصادية خانقة أدت بالكثير من مصارفهم واقتصادهم إلى إشهار الإفلاس، وإغلاق شركاتهم وطرد عمالهم، وما إلى ذلك كثير، فسواء خرجوا من أزمته هذه أم لم يخرجوا، فقد تبين أمر لا شك ولا شوب فيه، وهي فساد أنظمتهم وعدم وجود البديل عندهم، وسيعترفون ضمناً بالنظم الاقتصادية الإسلامية، وإن لم يعتمدوا عليها

فليعلموا أنها ستتهار مرة أخرى.

وليس هذا الكلام كلام المنحاز لدينه ونُظْمِهِ، وان كان الانحياز لما يراه الإنسان حقاً، وبحجة حقّة لا إشكال فيه، بل هو أمر مطلوب، إلا أن هناك أدلة على فشل أنظمتهم الاقتصادية وخصوصاً الرأسمالية، فأولها غزارة الإنتاج مع سوء التوزيع، وثانيها أنها أما أن توصلهم للتضخم المالي أو توصلهم إلى إشهار الإفلاس، فلا توازن اقتصادي ينتج مما هم متبعوه من أنظمة.

السؤال السادس والعشرون:

من الحقائق المهمة أن الله تعالى عالم بكل شيء، كيف نستثمر هذه العقيدة في تربية النفس وتكاملها؟
بسمه تعالى:

ورد في الأثر: «عميت عين لا تراك عليها رقيباً»^(١)، فكل إنسان يرى ببصيرته أن الله عليه رقيب، ويخافه مخافة الموقنين، فإنه سوف لن يرتكب المعاصي والذنوب والآثام. أما من عميت عينه عن ذلك فسيكون بعيداً منه جل جلاله، وبالتالي سيكون أقرب للمعاصي والذنوب، فالنفس البشرية مجبولة على الخوف من الرقيب، فكل

١- بحار الأنوار: ج ٩٥، ص ٢٢٦.

نفس ترى أن عليها رقيباً ستعمل وفق ما يريد ويطلب، إلا من خرج عن المتعارف من النفوس التي حجبها كثرة الآثام والذنوب، فصارت قلوبهم غُلف وعلى أعينهم أغشية الضلال.

إذن سيؤول أمر من يرى الله عليه رقيباً وأنه عالمٌ بأفعاله وأعمالها صغارها وكبارها، وإنَّ الله لا تغيب عنه غائبة فهو يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، تؤول أموره إلى الخير والصلاح والهداية وترك الملهذات وتجنب الحرام والمداومة على الأوامر، وغيرها كثير من أفعال الخير.

ومع الأسف فإن الكثيرين يرتكبون ذنوبهم وآثامهم في خلوة بينهم وبين أنفسهم متناسين أن الله يراهم وينظر إليهم وإن خفيت ذنوبهم هذه عن أعين الناس.

وما أبعد هؤلاء عن بعض أهل المعرفة الذين يستحون من أمور مباحة؛ لأن الله يسمعهم ويراهم، فهو يسمع ويرى وهو بالمنظر الأعلى.

السؤال السابع والعشرون:

إذا كان المدبر الوحيد هو الله، فكيف يَصِفُ في القرآن بعض

الملائكة بأنها مدبرات في قوله: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾^(١)، وما معنى وجود ملائكة للمطر وآخر للرياح وغيرها؟
بسمه تعالى:

الملائكة الأربعة المدبرون لأموال الدنيا: جبرائيل وميكائيل وعزرائيل وإسرافيل، فجبرائيل يدبر أمر الرياح والجنود والوحي، وميكائيل يدبر أمر القطر والنبات، وعزرائيل موكلٌ بقبض الأرواح، وإسرافيل يتنزل بالأمر عليهم وهو صاحب الصور، وقيل: إنها الأفلاك يقع فيها أمر الله فيجري بها القضاء في الدنيا، هذه هي الملائكة المدبرة بإذن الله وليس لها من التدبير في شيء، لولا إذنه جلَّ جلاله.

ولا يمكن أن يقال: إنَّ تدبير الملائكة يناقض التدبير الإلهي، بل هو منصبٌ فيه ويأذنه فلا إشكال من هذه الناحية، ولا شراكة ولا شرك يُتصور، فقد قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَنفَعُونَ﴾^(٢)، وعليه فإنَّ تدبير الملائكة تدبير إلهي أيضاً، ولا يُقال أنَّ الله محتاج إلى تدبيرهم، فهذا لا يمكن بعدما عرفنا أنَّ واجب

١- سورة النازعات: آية ٥.

٢- سورة يونس: آية ٣١.

الوجود غير محتاج إلى غيره.

السؤال الثامن والعشرون:

يرى الوهابية أنّ الإستعانة بالأولياء شرك، ومن هنا كفّروا
الشيعة؟ كيف نردّهم؟

بسمه تعالى:

نعم، الإستعانة بالأولياء من دون الله شرك، إلّا أننا لا نستعين
بالأولياء بصورة مباشرة لقضاء حوائجنا، إنما يكونوا شفعاء عند الله
لنا لقضاء حوائجنا الأخروية والدينيوية، فمن هذه الناحية لا إشكال
ولا حرمة، أمّا من يستعين بنفس الولي لقضاء حوائج لا يقضيها إلّا
الله، فهذا لا قائل به لا من الشيعة ولا غيرهم من طوائف الإسلام
على حد سواء.

السؤال التاسع والعشرون:

لماذا تعتبرون سنّ القانون الوضعي خلاف التوحيد في
الحاكمية؟

بسمه تعالى:

توحيد الحاكمية أو حكمه جلّ جلاله، بمعنى أنّ لا حكم إلّا

لله سبحانه، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَسِيبِينَ﴾^(١)، وقال عزَّ من قائل: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢)، وغيرها من الآيات التي تدلُّ على حصر الحكم به، وأنَّ لا حكم إلاَّ حكمه.

فما يترتب على ذلك هو بطلان جميع الأحكام التي تخالف حكم الله ودستوره وقانونه، ومنها الحكم الوضعي التي سنَّته العقول البشرية العلمانية منها أو غيرها، وخصوصاً أنَّ القوانين الوضعية تعطي لنفسها الاستقلالية عن حكم الله وقوانينه ودساتيره - إنَّ صحَّ التعبير - فإنَّ كان سنَّهم للقوانين والأحكام من هذا الباب، أعني خروجاً عن حكم الله فهذا قد يكون فيه خلاف لتوحيد الحاكمية.

وليس هذا هو المنشأ الحقيقي لبطلان القوانين الوضعية، فهناك استدلال للسيد الوالد عليه السلام في إحدى خطبه، حيث يقول: «إنَّ نظام الإسلام، والعدل الإسلامي الذي بشر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وجاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم حلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرام محمد حرام إلى يوم القيامة. فإنَّ المعجزات الوقتية وإنَّ كانت صحيحة كتسييح

١- سورة الأنعام: آية ٦٢.

٢- سورة يوسف: آية ٤٠.

الحصى وشق القمر، وغير ذلك من الأمور، إلا إنها تزول في وقتها ولا تبقى منها إلا الرواية والنقل، بخلاف المعاجز الخالدة، ومعنى خلودها كونها معجزة على كل الأجيال وعلى كل الأديان وعلى كل الطبقات وعلى كل المستويات وعلى كل القرون إلى يوم القيامة.

ويمكن الاستدلال على عدالة دين محمد بن عبد الله الذي هو دين الإسلام بعدة أدلة، أذكر ما هو ممكن منها:

أولاً: إنَّ البديل الذي يمكن أن يكون بديلاً عن الإسلام وعن نظام الإسلام ما هو إلا أحد أمرين لا ثالث لهما، أما عدم النظام في المجتمع إطلاقاً، وأما القانون الوضعي الذي يسنُّه البشر بغض النظر عن الرسالات الإلهية، أو كما يعبر بعضهم بغض النظر عن الاتصال بإله السماء. كلا المطليين محل إشكال، وليسا بصحيحين، فإذا تم إسقاطهما تعيَّن أن نظام الإسلام هو العادل الكامل.

أما الأمر الأول الذي هو عدم وجود نظام إطلاقاً في المجتمع، فهذا طبعاً واضح جداً أنه ساقط في نفسه ولا يريده أي شخص من البشر للمجتمع، وحسب عبارة بعضهم: أنه يصبح المجتمع جحيماً لا يطاق. وعبارة بعضهم أنه يصبح المجتمع الإنساني تحكمه شريعة

الغاب، ونحو ذلك من الأمور.

ولذا أوجب علماء الكلام على الله سبحانه وتعالى بحسب حكم العقل أنه خلق الخلق وهو كفيل بمصالحهم ونظامهم ووجود العدل فيهم، لا أنه يخلق الخلق ويتركهم هملاً، يقتل بعضهم بعضاً ويسرق بعضهم بعضاً، وهذا لا يكون؛ لأنه خلاف اللطف الإلهي، أو خلاف قاعدة اللطف.

البديل الثاني: هو القانون الوضعي، القانون الوضعي من أين جاء؟ فيه مصدرين أساسيان: إما العقل وإما النفس، إما أن المُقنّن يُحكّم عقله في إدراك المطالب ويكتب قانونه، وهذا على أحسن التقادير، وإما أنه يُحكّم نفسه وشهوته ومصالحه فيكتب قانونه إما هذا وإما هذا وليس لهما ثالث، وكلا الأمرين ساقطين وسيئين.

أما إذا حكّم المُقنّن شهواته ومصالحه الخاصة واضح أنه فاسد، وهذا غير قابل للنقاش، وإنما يحتجّ أهل القانون على أننا نُحكّم عقولنا في هذا المطلب فمن هذه الناحية يأتي القانون صافياً وصحيحاً.

وهذا الذي طرّق سمعنا من أنّ العقل البشري مُدركٌ لشيء من الصواب ولشيء من العدل، صحيح يقال العدل حسن والظلم قبيح،

الصدق حسن والكذب قبيح، ولكن فلنأتي خطوة ثانية: هل أنَّ العقل يدرك ذلك في كل الأشياء؟ جملة من الأشياء نسأل أنفسنا ونشك أنها هل هي حسنة أو هي قبيحة؟ الله العالم نحن لا نعلم.

كذلك عندما يسمى بالمزاحمة التي تتعارض في ذهنك الأشياء هذا أهم أو هذا أهم، هل يدرك عقلك شيئاً من هذا القبيل أنه هذا بالتعيين أهم؟ طبعاً لا يوجد هكذا شيء، فالإنسان في عقله موجود إدراك بإذن الله سبحانه وتعالى للخير والشر، ولكنه ضيق لا يشمل جميع مناحي الحياة وجميع حقول المعرفة بكل تأكيد، ربما واحد بالمائة إلى خمسة بالمائة وإلاّ الباقي كله مشكوك عقلياً، وهذا وجداني، اسأل نفسك أي شيء تريد.

حينئذٍ ماذا يكون؟ يكون أنَّ المُقنّن يأتي لكتابة قانونه بأي عقل؟ بهذا الخمسة بالمائة والباقي مشكوكات ويجعل المشكوكات على شكل اليقينيّات، ويحمل الناس مسؤوليتها، فهذا الشيء غير صحيح. فمن هذه الناحية العقل قاصر عن إدراك الواقعيّات التي يعلمها الله سبحانه وتعالى، وقاصر عن إدراك الواقعيّات التي يعلمها المعصومون (سلام الله عليهم)، فإذا عطفنا على ذلك أنَّ العقل البشري مادي، مادي يعني ماذا؟ يعني يعيش في بوتقة المكان والزمان والمجتمع والمصالح الأُسرية وغير ذلك. فالمُقنّن غير

معصوم طبعاً، ولا يدعي أحدٌ عصمته لا من الأولين ولا من الآخرين، يعني المقنن البشري غير معصوم أكيداً، وهو رهين كما أن كل واحد منّا رهين المكان والزمان والدنيا والمصلحة والمال، فلولا اللطف الإلهي عرفنا الآخرة؟ عرفنا الحساب؟ عرفنا الثواب؟ عرفنا العقاب؟ وعرفنا مثلاً المدارج العليا والملائكة حملة العرش؟ لا نعرف طبعاً، والمفروض أنّ المقنن من هذه الناحية يُخرج عن ذهنه كل هذه الأمور، سواءً عرفها أم لم يعرفها، وإنما يتبع الدنيا المحضة والمجتمع الذي بين يديه فقط، كما يقول: (فو الذي يقسم به أبو سفيان لا جنة ولا نار)، وهذا أيضاً يقول لا جنة ولا نار ويقعد يكتب القانون، فماذا يكون؟ يكون أنه أهمل المصالح الرئيسية للبشرية التي هي حساب يوم القيامة والجنة والنار؛ لأنه نحن لم نخلق لهذه الدنيا، وإنما خلقنا للآخرة، وهو يقول أننا خلقنا لهذه الدنيا ولم نخلق للآخرة.

فإذا كنت لا تدري فتلك مصيبة

أو كنت تدري فالمصيبة أعظم

إذن فالعقل البشري لا يستطيع أن يضع قانوناً، فإذا فسد كلا الاحتمالين هل نكون بلا نظام؟ أكيداً لا، ولا يكون بنظام عقلي وضعي، هذا أيضاً فاسد، إذن يتعين النظام الإلهي، فإن الله تعالى تتبع

شريعته صغيرة وكبيرة، مهمة وقليلة كلها بإذن الله سبحانه وتعالى. والله تعالى غير مُقَصِّرٍ، فإنه أعطانا العدل الصحيح الكامل، وإنما يصدُّ عن ذلك شهواتنا ومصالحنا وطرقنا الفاسدة والملتوية ليس أكثر من ذلك، فإذا كنَّا نتجنب ذلك، وكنَّا نتجنب الشيطان، فنحن باتجاه الرحمن، وإذا كنَّا نتجنب الرحمن فنحن باتجاه الشيطان اعتيادي»^(١).

السؤال الثالثون:

ما هو التعريف الصحيح للتوحيد في العبادة، وكيف لا تعتبر زيارة قبور الأولياء خلاف التوحيد؟
بسمه تعالى:

التوحيد في العبادة: هو الاعتقاد بوجود معبود واحد يستحق العبادة، وهو الله سبحانه، وبالتالي تكون كل عبادة لغير الله نوع من أنواع الشرك، وخصوصاً أنّ توجيه العبادة لغير الله توجيه لمن لا يستحق العبادة، فاستحقاق العبادة منحصرة به جلَّ جلاله.

١- الصدر، محمد، خطب الجمعة لشهيد الجمعة، الجمعة الحادي عشر الخطبة الثانية، ص ١٤٢-١٤٥.

وإن كنت تقصد في سؤالك أنّ زيارة القبور هي خلاف التوحيد في العبادة، أو لعلك تقصد خلاف التوحيد في الطاعة، فإن المستحق للطاعة هو الله فقط، فأقول: إنّ زيارة القبور لا تخالف التوحيد في العبادة، فالزائر لا يعبد في زيارته إلا الله، ولا يقصد بعبادته أحد من المخلوقين ولا المعصومين على الإطلاق، وإنما يذهب إليهم؛ لأن الله أذهب الرجز عنهم وطهرهم تطهيراً، ولينهل من بركاتهم ومن فيوضاتهم ومن علمهم ومن أخلاقهم وليرد بعضاً من أفضالهم وتضحياتهم التي ضحوا بها من أجلنا ليس إلا.

وإن كنت تقصد بأن الزيارة مخالفة للتوحيد في الطاعة، فهذا مردود أكيداً، فإننا لم نقصد طاعتهم طاعة مستقلة عن طاعة الله سبحانه، بل إنما أطعناهم لأن الله أمرنا بطاعتهم ومحبتهم، قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْرَفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا رَسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾^(٢)، فإنّ طاعة من لا يستحق الطاعة أو طاعة من نهى الله عن طاعته أو حتى من لم يأمر الله بطاعته تؤدي إلى

١- سورة الشورى: آية ٢٣.

٢- سورة النساء: آية ٥٩.

الشرك في الطاعة ومخالفة التوحيد، أما من حيث هم مستحقون للطاعة ولأننا مأمورون بطاعتهم فليس من الشرك في شيء. بل عدم طاعتهم نقصان في طاعة الله سبحانه وتعالى، ولا أقل من أنه يدخل من باب العصيان المباشر لأوامر الله سبحانه وتعالى. بل ويمكننا القول بأنه يدخل من باب العصيان في توحيد الطاعة، فإنه إن كان الإشراك في الطاعة كفر، فإنَّ إخراج من هو مستحق للطاعة عسياناً لله سبحانه وتعالى أيضاً مخالفة للتوحيد في الطاعة، فيكون محرماً من جهة أخرى أكيداً، كما لو تصورنا أنَّ شخصاً يعبد صفات الله دون ذاته أو صفة دون أخرى، فهو أكيداً مخالف للتوحيد.

السؤال الحادي والثلاثون:

إذا كان الله موجوداً في كل مكان، فما هي الحكمة من رفع اليد إلى السماء حين الدعاء؟
بسمه تعالى:

إنها جهة العلو ليس إلا، وإلا فإنَّ الله تعالى قال: ﴿فَأَيْنَمَا تُولُونَ﴾^(١)، وهو سبحانه وتعالى لا يحده مكان ولا تحده جهة على الإطلاق، بل إنَّ توجهك إليه إن كان من باب تحديد مكانه أو

١- سورة البقرة: آية ١١٥.

جهته المادية فهو محرم أكيدا.

فالسماة جهة علو، وجهة نزول الخير كما يعبرون، وكما يقال:
(خيرك إينا نازل وشرنا إليك صاعد)، فكلها قرائن تعطي للإنسان
الإحساس والشعور بالتوجه إلى ما هو أعلى منه، وهي السماء، بل إن
السماء تعني السمو والرفعة، وهي أيضاً ما دعت إلى رفع اليد إلى
السماء، مضافاً إلى أنها صارت وبمرور الزمن فعل متشعري قام به
حتى المعصومون (سلام الله عليهم أجمعين)، فصار كالسنة لنا،
وليس معناه انحصار الدعاء برفع اليد الى السماء، بل الكثير من
موارد الدعاء والتهجد تكون على شكل سجود أو ركوع أو ما
يكون بعد الصلوات من تعقيب وهو جالس، بل إن موارد الدعاء
والذكر والتسبيح تكون حتى أثناء الاضطجاع وغيرها، ألم تسمع
قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ
فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ
النَّارِ﴾^(١).

السؤال الثاني والثلاثون:

هل هناك أدلة قرآنية على أن الله تعالى يقبل استغفار الأولياء

١- سورة آل عمران: آية ١٩١.

للناس؟

بسمه تعالى:

في الجواب تفصيل، فلا مجال للإطلاق والتعميم، فإنَّ الله تعالى قال في محكم كتابه العزيز: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾^(١)، فإنَّ هذه الآية ذات دلالتين مختلفتين: فمن جهة تدل على أنَّ الرُّسل والأنبياء والأولياء والصالحين لا يُمكن أن يشفعوا لأحدٍ إلاَّ من ارتضاه الله، فهم بإذنه يشفعون، فالآية التي سبقتها تقول: ﴿لَا يَسْتَفِئُونَ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾^(٢)، إذن شفاعتهم لمن ارتضى الله، بل وأضيف أنَّ رضى الله رضاهم ورضاهم رضا الله، فلا يشفعُ الله إلاَّ لمن ارتضوا أيضاً، فشفاعتهم من هذه الناحية شفاعَةٌ واحدةٌ متلاحمةٌ لا تنفصلُ.

ومن جهةٍ أخرى تدلُّ على إمكان الشفاعَةِ، في حال ارتضائهم وارتضاهم جلاً وعلاً، إذن فلا بُدَّ من أمرين، هما: رضا الله ورضاهم ليتمكن معها الشفاعَةُ، إنَّ لم نقل أنَّ الأمرين مُتَّحِدَانِ بصورةٍ أو بأخرى.

١- سورة الأنبياء: آية ٢٨.

٢- سورة الأنبياء: آية ٢٧.

وبطبيعة الحال فإنَّ الاستغفار منْ دون توبة قد لا يمكن معه الشفاعة، وقد يمكن معه الشفاعة إنْ وجدوا طالب الاستغفار حَسَنَتْ توبته وخُلِّصَ عمله. اللَّهُمَّ اجعلنا منَ المُستغفرين ومِمَّنْ خُلِّصَتْ أعمالهم عسى أنْ نكونَ مِنَ المُهتدين.

السؤال الثالث والثلاثون:

هل يمكن رؤية الله؟ وما معنى قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۖ﴾ (٢٢)

إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿١﴾؟

بسمه تعالى:

العين لا ترى إلاّ الأجسام، وقد علمتم سابقاً أنّ واجب الوجود لا يمكن أن يكون جسماً، وما هو ليس بجسم ولا حيز له لا يمكن للعين أن تراه، ومعه يجب تفسير الآية وتأويلها بمقتضى القواعد العامة، فيكون النظر هنا هو بمعنى التوجه أو بمعنى البصيرة المعنوية، كما في (عميت عين لا تراك) وهكذا من الأمور التي يجب أن نفسرها طبقاً للقواعد العامة، ولا تكون هي مخرجة وخارقة للقواعد العامة.

١- سورة القيامة: آية ٢٢-٢٣.

السؤال الرابع والثلاثون:

إذا كان كلُّ ما يحصلُ بقضاءِ الله وقدر منه تعالى، فما الداعي للعمل وبذل الجُهد في الحياة؟
بسمه تعالى:

هذا قد أجبنا عليه سابقاً في مسألة الجبر والتفويض، قلنا أن الله جعل التوفيقات وألهم الإنسان السعي، فمن سعى وبذل الجُهد أثابه الله، وإلا عاقبه الله، فلا جبر ولا تفويض ولكن أمرٌ بين أمرين.
السؤال الخامس والثلاثون:

إن يونس عليه السلام أخبر قومه بنزول العذاب ثم حصل البداء، هل كان كاذباً أم أن الله أخبره خطأ؟ أم ماذا؟
بسمه تعالى:

الجواب بنص القرآن هو، قال تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرِيَةً ءَامَنَتْ فَنَعَاهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ ءَازَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾^(١)، وحسب فهمي فإن إيمان قوم يونس حينما

١- سورة يونس: آية ٩٨.

خرج من بينهم غاضباً، قال تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغْلِظًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾^(١)، فإنهم أحسوا بمدى عصيانهم له بعد خروجه عنهم، فرفع الله عنهم ما كتب عليهم من العذاب، فهو أحد صور البداء، فليس الإخبار خاطئاً ولا هو كان كاذباً، بل الله يحكم في عباده كيف يشاء، فإن القرية التي آمنت يرفع عنها العذاب فإن ربك لطيف بعباده أكيداً، وإن عادوا فإن عذاب الله يعود، فإن أوامره ونواهيه حسب استحقاقات البشرية، فإن استحقوا العذاب أعطاهم عذاباً من لدنه، وإن استحقوا الرحمة فرحمته وسعت من كان مستحقاً للرحمة بطبيعة الحال.

السؤال السادس والثلاثون:

إن النبي ﷺ أخبر أنّ الشمر سيقتل الحسين ﷺ، هذا معناه أنّ الشمر مجبور على ذلك، فلا إثم عليه؟
بسمه تعالى:

بما أنّ علم الله حضوري أزلي، فهو موجود منذ الأزل والى

١- سورة الأنبياء: آية ٨٧-٨٨

الأبد، وهو لا يصدر إلا من الأزلي، وقد تظهر بعض هذه العلوم وتصل إلينا عن طريق المعصومين (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)، مما يجيز لهم كشفه لنا، وإلا فهناك علوم إلهية تصل إليهم لا يجوز كشفها إلا على بعض خواصهم، بل قد لا يكون حتى ذلك؛ لأنها من الأسرار الإلهية التي لا يجوز البوح بها، ولا أحد أفضل من المعصومين يكون كاتماً للأسرار الإلهية وخازناً لها.

وكون الوقائع المستقبلية موجودة ومحفوظة في اللوح المحفوظ، لا يعني ذلك الجبر ولا التفويض ولا أي أمر آخر، فالبدء موجود لتغير المصالح والمفاسد، والتوفيق الإلهي موجود وسوء التوفيق بسبب الأفعال والأعمال موجودة، والآثار السلبية موجودة، والسعي من العبد الصالح موجود، والسعي التسافلي من العبد الطالح أيضاً موجود، فلا مجال معه لرفع الثواب المترتب على الفعل الحسن، ولا مجال لرفع العقاب والآثام المترتبة على الأفعال السيئة وعلى رأسها قتل الأولياء والأنبياء والمعصومين والصالحين، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ حَقِّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(١)، وعليه فمن قتل الإمام الحسين (سلام الله عليه) كان في قتله مختاراً ساعياً إلى ذلك، قاصداً له عالماً به غير غافل، ولا ناس

١- سورة آل عمران: آية ٢١.

ولا جاهل، بل كان عن عَمَدٍ وإصرار وترصدٍ على حد تعبيرهم، غيرَ آبهٍ بالنتائج المترتبة على فعلته الشنعاء هذه، فهي جريمة بحق البشرية جمعاء، على الرغم من أنه كان يستحضر كل هذه النتائج ولو إجمالاً، إلا أنّ نفسه الأمانة بالسوء وتقديم ملذاته الدنيوية على الأخروية وطلبه لملك الرّي وغيرها مما دعت له لأن يكون طائعاً لأسياده الظالمين أصحاب الرايات الحمراء.

وعلى الرغم من أننا نقول أن قتل الإمام الحسين عليه السلام داخل في التخطيط الإلهي، إلا أنه ليس معناه أنه كان بفعل إلهي لا بفعل بشري، وصحيح أننا نقول بأن الشهادة خُطت على المعصومين لينالوا مقامات لا ينالوها إلا بها، إلا أنّ هذا ليس معنى الجبر، فالاختيار والسعي موجود من كل الأطراف، فيكون القاتل متجرئاً على المعصوم، ويكون المعصوم بإقدامه على الشهادة مطيعاً لله ولرسوله، مضحياً بنفسه وماله وأتباعه وأهله حتى، فلا القاتل مسلوب الإرادة ولا المقتول مسلوب الإرادة، فكل له إرادته.

بل أضيف على ذلك أمر يصلح كدليل على اختيار (الشمر)، فإنه لو لم يكن مختاراً بل كان مجبراً، لاقتضت المصلحة الإلهية إبقاء الإمام الحسين عليه السلام، لأنه من يمثل الحق ونصرة الحق على الله حقاً، كما قال تعالى: ﴿فَأَنْقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرُوهُمْ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ

الْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾، فَإِنْ كَانَ مُجْبُوراً فَإِنَّهُ مِنَ الْأُولَى أَنْ يُجْبَرَ عَلَى عَدَمِ الْقَتْلِ؛ لِأَنَّهُ الْبَاطِلُ وَهُوَ الْمَوْعُودُ بِالْإِنْتِقَامِ، وَالْحَسِينُ مَوْعُودٌ بِالنَّصْرِ لِأَنَّهُ الْحَقُّ.

فَإِنْ قِيلَ: إِنَّ قَتْلَ الْحَسِينِ وَاسْتِشْهَادَهُ هُوَ النَّصْرُ، قُلْنَا لَا يَكُونُ النَّصْرُ إِلَّا بِأَسْبَابٍ طَبِيعِيَّةٍ، لَا جَبْرَ فِيهَا عَلَى الْإِطْلَاقِ، فَإِنَّ اسْتِشْهَادَ الْحَسِينِ يَكُونُ بِأَسْبَابٍ طَبِيعِيَّةٍ غَيْرَ خَارِقَةٍ لِلْعَادَةِ وَالطَّبِيعَةِ، وَهَذَا مَا كَانَ السَّيِّدُ الْوَالِدُ يَتَّبِعُهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ؛ حِينَمَا يَقُولُ مَا مَوْدَاهُ: إِنَّ الْأَصْلَ فِي الْوَقَائِعِ عَدَمُ الْمَعْجِزَةِ إِلَّا مَا خَرَجَ بِدَلِيلٍ.

السؤال السابع والثلاثون:

أنا ولدت يهودي، فما هو ذنبي؟

أنت ولدت شيوعي، فما هو فضلك؟

بسمه تعالى: إِنَّ ذَنْبَكَ أَيُّهَا الْيَهُودِيُّ أَمْرَانِ:

الأول: إِنَّكَ خَالَفْتَ الْفِطْرَةَ الْإِلَهِيَّةَ وَمَا أَمَرْتَ إِلَّا أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَتُوحِّدَهُ وَتُطِيعَهُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ.

الثاني: اسْتَمْرَارُكَ عَلَى الْعَصْيَانِ، وَعَدَمُ طَاعَةِ اللَّهِ، فَإِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامَ وَلَا يَقْبَلُ مِنْكَ غَيْرَهُ.

١- سورة الروم: آية ٤٧.

أما فضل الشيعي: فهو أنه لم يخالف الفطرة الإلهية، واستمر على طاعة الله عزَّ وجل.

السؤال الثامن والثلاثون:

يوفق الله بعض الناس للطاعات، كصلاة الليل مثلاً، هل هذا التوفيق معناه أنهم مجبرون عليه؟ ما هو فضلهم إذن؟
بسمه تعالى:

التوفيق هنا، التوفيق الذي لا يسلب الإرادة من الفعل والترك، كما نوهنا إليه سابقاً فراجع.

السؤال التاسع والثلاثون:

هل البلاء لإذهاب السيئات أم لزيادة الحسنات؟ كيف نتصوره للمعصوم؟
بسمه تعالى:

إنَّ البلاء هو اختبار من الله سبحانه وتعالى للمؤمنين، ومعرفة مدى صبرهم وثباتهم وإيمانهم وتمسكهم بدينهم وازدياد إخلاصهم، وما إلى ذلك مما ينفع المؤمنين، ثم إنَّ كان المؤمن قد كثرت ذنوبه فإنه ومن باب اللطف والرحمة الإلهية، يتليه الله ليمحو بعضاً من ذنوبه، لتتعدل كفة الحسنات مع كفة السيئات، أو تزيد

حسناته على سيئاته، فيكون ممن خلطوا عملاً صالحاً، وآخر سيئاً، عسى الله أن يتوب عليهم، أو ممن لم يرتكبوا ذنباً، فهو يكون باباً لتكامله الدنيوي أو الآخروي أو كليهما.

واعلم أنّ الكمال المطلق هو الله فقط، فحتى المعصومون (سلام الله عليهم) يتكاملون، ولو بالمعنى الدقي، لا كالتكامل البشري لمن هم دون العصمة أكيداً، فإنّ المعصوم ينظر إلى أعماله تتلاشى أمام عظمة الله، لما في قلبه من العشق لله سبحانه وتعالى، ولذلك ورد بما معناه: (إنّ لكم مقامات لا تُنال إلا بالشهادة)، ولعل من هذه المقامات لا تنال إلاّ بالبلاءات المختصة بالمعصومين (سلام الله عليهم) التي توصلهم في نهاية المطاف إلى الشهادة، التي هي غاية الجود أن تضحي بنفسك.

السؤال الأربعون:

قال تعالى: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^(١)، إذا كانت الهداية بيد الله فما فضل المهتدين وما ذنب الضالين إذن؟
بسمه تعالى:

هذا مما تقدم جوابه، بأنّ الهداية بتوفيق الله وسعي الإنسان،

١- سورة فاطر: آية ٨.

والضلالة بسلب التوفيق الإلهي الذي لا يكون معه الجبر ولا التفويض مع سعي الإنسان إلى التسافل والرذيلة.

السؤال الحادي والأربعون:

قال تعالى: ﴿ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، ثُمَّ هَدَىٰ ^(١) ﴾، يقال أنها

تشير للهداية التكوينية، ما هو معناها؟

بسمه تعالى:

معنى الآية: إن الله سبحانه وتعالى أعطى كل شيء، سواء الإنسان أم غيره المقومات التي توصله إلى مطلوبه وهدفه، وحسب علمي أن الهداية هنا بمعنى الهدف، إلا أنه الهدف الأسمى والأولى، أي أن الله أعطاك المقومات التي تستطيع معها الوصول إلى الهداية، وهذا يعني أن الهداية هي هدفك الأول، إلا أن سعيك وأعمالك السيئة أدت بك إلى التسافل وبالتالي إلى الضلالة، فإن كنت تقصد بالهداية التكوينية الهداية الفطرية المغروزة في طباع الإنسان فنعم.

السؤال الثاني والأربعون:

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى ^(٢) ﴾، قالوا يستفاد من هذه

١- سورة طه: آية ٥٠.

٢- سورة محمد: آية ١٧.

الآية الهداية الخاصة؟ ما معناها وما هي الهداية العامة؟

بسمه تعالى:

الآية الشريفة تقول: ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى﴾^(١)، فكما ورد: «خطوة من العبد والباقي على الرب»، فإن الله إن وجد من خطوة للهداية أعطاه من الهداية ما يشاء، وإن لم يجد من العبد سيراً إلى الأمام، أعني نحو الهداية فلا يكون هناك مجالاً لإعطائه الهداية، وإلا كان مجبراً عليها، فإن الإنسان يختار أحد الطريقتين إما الهداية أو الضلالة. فإن المقصود من قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا﴾ هم الطالبون للهداية والسائرون نحوها، إذن فمن لم يطلب الهداية فلا يمكن أن يُعطى منها، وحسب فهمي فإن الهداية العامة التشريعية هي الهداية التي تأتي عن طريق الكسب، وبمعنى من المعاني هي الخطوة الأولى من العبد، والهداية الخاصة هي التي يفيض بها الله سبحانه على عباده بعد أن يرى منهم الخطوة الأولى نحو العبادة والتوجه إليها.

السؤال الثالث والأربعون:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ

١- سورة محمد: آية ١٧.

الْجَاهِلِينَ ﴿١﴾، لماذا لم يشأ ذلك؟

بِسْمِهِ تَعَالَى:

جوابه واضح: لم يشأ ذلك، حتى لا يدخلهم في المجبورين على الهداية، بل أعطاهم مقومات الهداية وطلب منهم السعي وفوضهم بذلك، فإن شاء هدايتهم لقال لها كن فتكون، إلا أن ذلك سوف يسلب العبد الثواب، وبالتالي يسلب التكامل المترتب على الآثار الايجابية للهداية الكسبية، فمشيئته بعدم جمعهم على الهداية هي من أجل تكاملهم، وإلا فإنه يسلبهم التكامل وهو منه قبيح.

السؤال الرابع والأربعون:

يقال: إن للذنوب أثر وضعي في عالم الكون، وكذلك الطاعة، هل معناه إننا شركاء في الخلق حين نؤثر في الكون بأعمالنا؟
بِسْمِهِ تَعَالَى:

الآثار السلبية أو الايجابية على حد سواء هي من سنن الله في خلقه، ولست أنت من يتحكم بها بالمعنى الفوضوي ولا التفويضي، بل إن الله جعل لك السعي فإن سعيت فأصبت الثواب، وبالتالي ترتب عليه آثار ايجابية فردية ونوعية، أو كذلك في الآثار السلبية.

١- سورة الأنعام: آية ٣٥.

ثم إن الإنسان لا يستطيع التحكم بآثاره السلبية ولا الإيجابية، بل هي مقدرات إلهية سنّها ووضعها لكل أفعال الشر أو أفعال الخير، على نحو تكون الآثار السلبية مُبعدة لك عن الأفعال الطالحة، وتكون الآثار السلبية في حال العلم بها دافعاً لك للقيام بأفعال الخير، وهكذا.

السؤال الخامس والأربعون:

كيف نرد على من يقول إن عيسى هو ابن الله؟

بسمه تعالى:

يمكن الإجابة على هذا السؤال على نحوين:

النحو الأول: منحى عقلي، حيث أن من يؤمن بالثالوث والذي هو: (الأب والابن وروح القدس) إنما يؤمن بوحدانية الله في نفس الوقت، فيكون الله واحد من حيث هو ثلاثة وثلاثة من حيث هو واحد، وهذا عين التناقض العقلي، سواء فسرنا هذا التناقض بالتناقض المادي أو المعنوي، فإن عالم المادة لا يعطي خرق القواعد العقلية، فيجوز به ما لا يجوز في غيره، بل هو عالم يسير تحت ضوابط وأنظمة عقلية كغيره من العوالم. ولكنهم قد يفسرون أن تناقضهم هذا، بأن الطبيعة الإلهية تنقسم إلى ثلاثة أقانيم، فإن كانت هذه الأقانيم الثلاثة على نحو الاستقلال، فيمكن الجمع بينهم جمعاً

حقيقياً، فيبقى نحو استقلال لكل واحد منهما وإن جمعناه. وإن كانت لا على نحو الاستقلال، بل إن هذه الأمور الثلاثة موجودة بوجود واحد، فيكون الإله المدعى هو المركب من الأمور الثلاثة وبطبيعة الحال فإن التركيب محال لذاته أكيداً.

النحو الثاني: الاستدلال من الكتب السماوية، حيث أن كتابهم يقول ويقر بنبوة (أحمد) أي محمد بن عبد الله، إذن هو نبي بعد نبيهم عيسى، فيجب اتباعه واتباع قرآنه القائل: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(١)، وهذه الآية تنص على كفر القائل بالثالوث مطلقاً.

السؤال السادس والأربعون:

ورد في الخبر: (من دنى إلي شبراً دنوت إليه شبرين)، هل معنى ذلك القرب المكاني أم ماذا؟
بسمه تعالى:

كل ما يرد على هذا النحو من الأمور المادية والمكانية والزمانية إنما يجب تفسيره حسب القواعد الإلهية القاضية بأنه

١- سورة المائدة: آية ٧٣.

واجب الوجود، وأنه بلا حيز وبلا مكان وبلا زمان، وتفسير مثل هذه الأمور بما يتلائم مع ذاته ووجوده، فيفسر الشبر بالشبر المعنوي لا المادي بطبيعة الحال، ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَدَلَّكَ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾^(١).

السؤال السابع والأربعون:

هل يدل عروج النبي ﷺ في قصة الإسراء والمعراج على مكانية الله، وكونه في جهة من الجهات؟
بسمه تعالى:

اعلم أخي أن هناك حادثتان منفصلتان - إن جاز لنا التعبير - أحدهما مادية والأخرى معنوية:

أما المادية فهو الإسراء: أي أسري برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ عَيْنِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٢)، وأنقل لكم هذه الرواية المختصرة لعلها تنفع في المقام، فأغلب ما نقل من الروايات عن الإسراء مطول.

١- سورة النجم: آية ٨-٩.

٢- سورة الإسراء: آية ١.

ففي أمالي الصدوق: «عن أبيه عن علي عن أبيه عن ابن أبي عمير عن أبان بن عثمان عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: لما أسري برسول الله صلى الله عليه وآله إلى بيت المقدس حمله جبرائيل على البراق فأتيا بيت المقدس وعرض عليه محاريب الأنبياء وصلى بها ورده، فمرَّ رسول الله صلى الله عليه وآله في رجوعه بغيرٍ لقريش وإذا لهم ماء في آنية، وقد أضلوا بغيراً لهم وكانوا يطلبونه، فشرب رسول الله صلى الله عليه وآله من ذلك الماء وأهرق باقيه، فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله قال لقريش: إن الله جلَّ جلاله قد أسرى بي إلى بيت المقدس وأراني آثار الأنبياء ومنازلهم، وإني مررت بغيرٍ لقريش في موضع كذا وكذا وقد أضلوا بغيراً لهم فشربت من مائهم وأهرقت باقي ذلك، فقال أبو جهل: قد أمكنتكم الفرصة منه فاسألوه كم الأساطين فيها والقناديل؟ فقالوا: يا محمد أن ها هنا من قد دخل بيت المقدس، فصف لنا كم أساطينه وقناديله ومحاريبه؟ فجاء جبرائيل فعلق صورة بيت المقدس تجاه وجهه فجعل يخبرهم بما يسألونه عنه، فلما أخبرهم، قالوا: حتى يجيء العير ونسألهم عما قلت، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وآله تصديق ذلك أن العير يطلع عليكم مع طلوع الشمس يقدمها جمل أورق، فلما كان من الغد أقبلوا ينظرون إلى العقبة

ويقولون هذه الشمس تطلع الساعة فبينما هم كذلك إذ طلعت عليهم العير حين طلع القرص، يقدمها جمل أورك، فسألوهم عما قال رسول الله ﷺ فقالوا: لقد كان هذا: ضل جمل لنا في موضع كذا وكذا، ووضعنا ماء فأصبحنا وقد أهريق الماء فلم يزداهم ذلك إلا اعتواً».

وأما المعنوي، فهو المعراج: أي عرج بروح رسول الله ﷺ إلى الملكوت الأعلى، قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتَمُرُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾^(١)، كل هذه الآيات تدل على العروج برسول الله ﷺ إلى سدرة المنتهى، وهي بطبيعة الحال ليس مكاناً مادياً كالأمكنة التي نراها بأعيننا، بل لا يحدها مكان ولا زمان، فهو قد عرج بروحه إلى السماء، فكل الأمور تفسر بالأمور الروحية أو قل المعنوية، ولا مجال لتفسيرها بالأمور المادية، فهو مخالف للقواعد العامة، كما نوهنا سابقاً، فلا مكان يحده جلّ جلاله، فهو بلا

١- سورة النجم: آية ٨-١٨.

مكان ولا زمان ولا أين ولا كيف.

السؤال الثامن والأربعون:

ورد: (أن المتكبر ينازع الله رداؤه) ما معنى ذلك ولماذا؟

بسمه تعالى:

حسب فهمي أن ما ورد: يمكن أن نستقي منه: أن الكبر رداء الله المختص به، فقد ورد في الدعاء: (يا من تبارك اسمه يا من تعالى جده يا من لا إله غيره يا من جل ثناؤه يا من تقدست أسماؤه يا من يدوم بقائه يا من العظمة بهائه يا من الكبرياء رداؤه يا من لا تحصى آلاؤه يا من لا تعد نعمائه)، فكل من حاول وأراد خلاف ذلك فإنه يتعدى على الله عز وجل، وليس هناك تفسير مادي لذلك، وإنما هو زجر ونهي عن التكبر، بل وفيه دلالة على أن التكبر على الآدميين تكبر على الله سبحانه وتعالى، والعياذ بالله.

السؤال التاسع والأربعون:

من مظاهر التوحيد التوكل على الله وقطع التعلق بالأسباب المادية، ما معنى ذلك؟

بسمه تعالى:

صحيح أن كل من سار في الطرق الإلهية واهتدى وارتقى إلى

المراتب العليا، صار عنده من التوكُّل الكثير، وترك الأسباب الدنيوية والتعلُّق بها، إلا أن هذا التعلق يمكننا أن نجعله على مستويين:

المستوى الأول: التعلُّق بمعنى نسيان الأسباب الإلهية والقدرة الإلهية، أو عدم الالتفات إليها، وبالتالي التجرؤ ولو ضمناً على الرحمة الإلهية واللطف الإلهي، والقدرة الإلهية، والحكم الإلهي، والقضاء والقدر، بمعنى أنه لا يرى في قضاء حوائجه إلا سعيه، تاركاً التوفيقات الإلهية والصفات الإلهية الأخرى جانباً، بل وغير معتقد بها تارة أخرى. فهذا يدل على الارتباط الوثيق بين الإنسان وبين الأسباب الدنيوية، وهو بعينه التعلُّق بالأسباب المادية التي ذكرتها في السؤال، وهذا هو المنبوذ أخلاقياً، بل وروائياً وشرعاً.

المستوى الثاني: أنه يؤمن بأن هناك توفيقات إلهية وتسديدات ورحمة ولطف إلهي يحفّ به من كل مكان إلا أنه في نفس الوقت يؤمن بالأسباب الطبيعية، كالسعي إلى الرزق والقدرة الجسمانية، لا على نحو يلغي معه القدرة الإلهية والأسباب الإلهية، مستمداً ذلك من قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (٢٦) وَأَنَّ

سَعِيَهُ سَوْفَ يُرَى ﴿١﴾، فإن سعي الإنسان هو من يدخله أعالي الجنان تارة، وإلى أعماق جهنم أخرى، وبين هذا وذاك التوفيقات الإلهية إثباتاً ونفيًا. وهذا المستوى لا يكون مخالفاً لما يؤمن به أهل الباطن وأهل الأخلاق ومن سار نحو العلوم الإلهية، وإن لم يطابقها شيئاً ما.

السؤال الخمسون:

ما معنى (سبحان الله) و(شديد المحال) و(العمد)؟

بسمه تعالى: أما الأول: (سبحان الله): قال صاحب الميزان - بتصرف مني-: ((سبحان أسم مصدر للتسبيح بمعنى التنزيه، ويستعمل مضافاً - أي يضاف إليه أحد أسماء الله فيقال سبحان الله - وسبحان الرحيم وسبحان الجليل، وهو مفعول مطلق قائم مقام فعله فتقدير (سبحان الله) سبحت الله تسبيحاً، أي نزهته عن كل ما لا يليق بساحة قدسه، وكثيراً ما يستعمل للتعجب، لكن سياق بعض الآيات إنما يلائم التنزيه لكونه الغرض من البيان))^(٢).

وأما الثاني: (شديد المحال): والمحال بكسر الميم مصدر ماحله يُماجلُه إذا ماكره وقاواه ليتبين أيهما أشد، وجادله لإظهار

١- سورة النجم: آية ٣٩-٤٠.

٢- تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، ج ١٣، ص ٧.

مساوئه ومعائبه فقولهُ: ﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ﴾^(١)،
معناه أن من يجادل في الله ويجادلون في ربوبيته تعالى بتلفيق
الحجة، فإن الله سبحانه شديد المماحلة؛ لأنه عليم بمساوئهم
ومعائبهم،قدير على إظهارها وإفصاحهم.

السؤال الحادي والخمسون:

الصبر تَحْمَلُ شَيْءٍ لَا تَسْتَطِيعُ تَغْيِيرَهُ لِسَبَبٍ مَا، كيف نصف الله
بأنه الصبور، وهو قادر على كل شيء؟
بسمه تعالى:

الصبر لغة: انتظر في هدوء وطمأنينة وبدون شكوى، وهذا
واضح منه جل وعلا، فقد قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا
كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ
مُّسَمًّىٰ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَأَبَى اللَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾^(٢)، إذن هو
جل جلاله ينظر إلى ذنوب عباده، وهو خبير بها عالماً بخفائها
وسرائرها، وهو في نفس الوقت قادر على عذابهم وعقابهم، إلا أنه
يصبر على كل ذلك ويعطيهم الفرصة للتوبة والندم، قبل فوات

١- سورة الرعد: آية ١٣.

٢- سورة فاطر: آية ٤٥.

الأوان، إلا أنهم لو رأوا كل آية لا يؤمنون، وإن يروا العذاب الأليم.
السؤال الثاني والخمسون:

إذا كان الله تعالى غير محتاج لأحد من خلقه، لماذا قال تعالى:

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾^(١)؟

بسمه تعالى:

إن مثل هذه الآيات تدل على الحثّ الكبير والمطلوبية والمحبووية، حيث أن الإقراض للغير، أي ما يدفع إلى الناس من مال بشرط ردّه كأنه يقرض الله بذلك، وهو أمر معنوي يراد به الحث على الفعل ليس إلا، ولذا يقول صاحب الميزان **تُدْرَسُ**: «وفي الآية حثٌّ بليغ على ما ندب إليه من الإنفاق في سبيل الله حيث استفهم عن الذي ينفق منهم في سبيل الله، ومثل إنفاقه بأنه قرضٌ يقرضه الله سبحانه، وعليه أن يرده ثم قطع أنه لا يرد مثله إليه، بل يضاعفه ولم يكتف بذلك بل أضاف إليه أجراً كريماً في الآخرة»^(٢).

السؤال الثالث والخمسون:

يقول الإمام الحسين **عليه السلام** في دعاء عرفة: (عميت عين لا تراك

عليها رقيباً)، ما المقصود من الرؤية في عبارته **عليه السلام**؟

١- سورة الحديد: آية ١١.

٢- تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، ج ١٩، ص ١٤٥.

بسمه تعالى:

قد أجبنا عن هذا السؤال سابقاً فراجع.

السؤال الرابع والخمسون:

يرى بعض المفكرين أن صراع كربلاء كان سياسياً، بينما يرى البعض أنه كان عقائدياً، أي رؤية أصوب ولماذا؟

بسمه تعالى:

إن الإمام الحسين عليه السلام يجيب عن ذلك بقوله: (ما خرجت أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)، إذن فلا إصلاح هو هدفه ولم يقصد من خروجه إلا ذلك. وإن قلت: إن الإصلاح قد يكون إصلاحاً عقائدياً، وقد يكون إصلاحاً سياسياً، أقول: وحدة الهدف هي الأهم، فمهما اختلفت الطرق يجب توحيد الهدف، فاختلاف الهدف هو المحك وليس المقدمات هي المهم.

السؤال الخامس والخمسون:

يوصف الله بأنه الواحد، وكذلك يوصف بأنه أحد، ما الفرق بين (الواحد) و (الأحد)؟

بِسْمِهِ تَعَالَى:

قد بينا ذلك سابقاً.

السؤال السادس والخمسون:

قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ (١)،

ما معنى البارئ؟

بِسْمِهِ تَعَالَى:

الخالق: هو الموجد للأشياء عن تقدير. البارئ: المنشئ للأشياء،

يمتاز بعضها من بعض. المصور: المعطي للأشياء صورة لتمييز بعضها

عن بعض فكلها معاني تعطي معنى النشأة والبرء.

السؤال السابع والخمسون:

قال تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ

إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ﴾ (٢)، ما معنى ذو الطول؟

بِسْمِهِ تَعَالَى:

ذو الطول: من أسمائه الحسنى، ومعناها صاحب النعم الطوال

التي تستمر طويلاً، وهي أخص من المنعم، فالمنعم صاحب النعم

١- سورة الحشر: آية ٢٤.

٢- سورة غافر: آية ٣.

القصار وغيرها.

السؤال الثامن والخمسون:

قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِئَةِ

رُسُلًا﴾^(١)، ما معنى فاطر السموات والأرض؟

بسمه تعالى:

فاطر السماوات أي خالقها من عدم.

السؤال التاسع والخمسون:

قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ

الْمُؤْمِنُ الْمُهِيبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾^(٢)، ما معنى (المؤمن)؟

ويؤمن بماذا؟

بسمه تعالى:

المؤمن اسم من أسمائه بمعنى من يعطي الأمن للخليقة جمعاء.

السؤال الستون:

يقول مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في دعاء الصباح (يا من دل

١- سورة فاطر: آية ١.

٢- سورة الحشر: آية ٢٣.

على ذاته بذاته وتنزّه عن مجانسة مخلوقاته) ما معنى ذلك؟
بسمه تعالى:

الذات الإلهية المقدسة، غير محتاجة إلى أحد على الإطلاق، حتى في الدلالة عليها، فهي تدل على ذاتها بذاتها، فذاته هي دليل على ذاتيته، فهو منزّه عن أن يكون كالأجناس المخلوقة، فهو واجب الوجود لا يحده مكان ولا زمان، فإن المخلوق وإن كان موجوداً، إلا أن وجوده مادي لا كوجوده جل وعلا، فهو منزّه عن أن يكون كالوجودات المادية بطبيعة الحال، كما أسلفنا سابقاً، وكما هو موجود في الأحاديث والروايات وكتب علمائنا الأعلام.

السؤال الحادي والستون:

وعد الله بإجابة الدعاء في قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾^(١)، بينما أحياناً يدعو الكثيرون لأمر معين ولا يستجيب لهم؟
بسمه تعالى:

هنا بحث طويل، لا يمكننا أن نذكر منه للإختصار إلا جهة واحدة، وهي أن الله سبحانه وتعالى أعرف بالمصالح والمفاسد وما

١- سورة البقرة: آية ١٨٦.

يترتب على الأمور، فهو أعلم بعواقبها، فإن رأى من المصلحة أن يتقبل دعاء الإنسان قبله، وإلا فإنه يرجئه، صحيح أن بعض الوقائع تدل على قبول الدعاء بعد إلحاح من العبد، إلا أن الإلحاح قد يتطلب منه القبول على الرغم من ترتب بعض المفسد، ولذا قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾^(١)، فإن هذه الآية تعطي معنى الإستهجان من كثرة الدعاء أو الإلحاح على الله في الدعاء، فإنها توجب غض النظر الإلهي عن بعض ما يترتب من مفسد على تقبل الدعاء، فالتفتوا.

السؤال الثاني والستون:

قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢)، ما معنى أنه تعالى

نور؟

بسمه تعالى:

قال صاحب الميزان رحمته الله: «النور معروف، وهو الذي يظهر به الأجسام الكثيفة لأبصارنا، فالأشياء ظاهرة به وهو ظاهر مكشوف لنا بنفس ذاته، فهو الظاهر بذاته المظهر لغيره من المحسوسات

١- سورة فصلت: آية ٥١.

٢- سورة النور: آية ٣٥.

للبصر»^(١)، أي أنه المظهر للموجودات والمخلوقات كافة، بنوره الذي أضاء له كل شيء، فكل الموجودات انعكاسات لنوره جل جلاله وعلا مكانه.

السؤال الثالث والستون:

قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٢)، ما

معنى تنزيل الشفاء والرحمة من القرآن هنا؟

بسمه تعالى:

يجاب على ذلك بعدة أجوبة:

أولاً: قاعدة اللاتفريط: وهي المتضمنة والقائلة بأن القرآن لم يفرط بشيء، إذن فهو يضم حتى الشفاء والرحمة، والشفاء يعم الشفاء المعنوي والمادي بطبيعة الحال، وأعني الأمراض العضوية والنفسية والروحية وغيرها كثير، بل وآفات المجتمع وآثامه.

ثانياً: هناك ما يدل على أن في قراءة القرآن شفاء معنوي للمؤمنين وللناس أجمعين، وهذا ما يمكن استيعاؤه من قوله تعالى:

﴿ وَتَطْمِئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾^(٣)،

١- تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، ج ١٥، ص ١٢٢.

٢- سورة الإسراء: آية ٨٢.

٣- سور الرعد: آية ٢٨.

وخصوصاً بعد أن نعلم أن أحد مصاديق الذكر هو القرآن.

ثالثاً: قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي

هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾، إذن فيه الحق،

الذي يهتدي به كل من يريد الهداية من داخل الإسلام وخارجه،
والحق هو أحد مصاديق الرحمة أكيداً.

رابعاً: فيه التحصين من بعض الأمور، كالأعداء والشياطين، قال

تعالى: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ

حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٢﴾، وهذه أيضاً إحدى معاني الرحمة، بل والشفاء

أيضاً، فإن الإنسان إذا حجب عن الكافرين فهو بمثابة الشفاء من

أكثر الأمراض التي تنتج عن مخالطة الكفار وأهل السوء كما نعلم.

فهذه أطروحات وتفسيرات يمكن الاستفادة منها لتوضيح المعنى.

السؤال الرابع والستون:

لماذا نهى القرآن والمعصوم عن القنوط من رحمة الله؟ وما

١- سورة النمل: آية ٧٦-٧٧.

٢- سورة الإسراء: آية ٤٥.

معنى القنوط؟

بسمه تعالى:

قَنَطَ، أي فقد الأمل ويأس، واليأس من رحمته ولطفه معناه أن الشخص لا يقرُّ برحمة الله ولطفه وقدرته، فمن تيقن بالرحمة الإلهية واللطف الإلهي لا يمكن أن يقنط، فهي ستسعه لا محالة مع استحقاقه وتضرعه، بل إن ما يشبه ذلك، هو أن من شكا مصيبتة للناس فإنه بات يشكو الله للناس كما قال سيد الموحدين علي ابن أبي طالب عليه السلام: (من أصبح يشكو مصيبة نزلت به فقد أصبح يشكو ربه)، فلا تقنطوا من رحمته ولا تشكو بلاء الله لغير الله فهو منهي عنه.

السؤال الخامس والستون:

ما المقصود من ذكر الله هنا: ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِينُ الْقُلُوبِ﴾^(١)، هل هو اللساني أم ماذا؟
بسمه تعالى:

إنه مطلق الذكر، الذكر اللساني والذكر القلبي وذكر الجوارح وذكر الحواس، وكل ما هو يُذَكَّرُ بالله وبرحمته وقدرته، وطبعاً

١- سورة الرعد: آية ٢٨.

هذا يعود إلى حال الذاكر ومرتبته وعلمه ودرجته، فكل ذلك مقتضٍ لاختلاف الذكر وتنوعه أيضاً، وزيادته والخشوع، وأمور أخرى غيرها.

السؤال السادس والستون:

ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾^(١)، وقوله

تعالى: ﴿ جَاهِدُوا فِيْنَا ﴾^(٢)، هل الجهاد هنا واحد أم مختلف؟

بسمه تعالى:

يذكر الجهاد في القرآن والسنة كثيراً، ويقصد به أحد أمرين: أولاً: الجهاد الأكبر، وهو جهاد النفس الأمارة بالسوء، وهو الأصعب على الأنفس، حتى ورد بما معناه: (من جاع بطنه وكف لسانه آتيته الحكمة، ومن أوتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً)، فكل ذلك داخل في جهاد النفس، وما تطلب منه من شهوات وملذات وانغماس في الدنيا واشراكها وشياطينها وأحزابها وحبائلها وشركها وغرورها وأمانيتها، وغيرها مما هي أهون على المؤمنين من (عقطة عنز)، كما ورد ذلك عن وصي رسول الله وخليفته.

١- سورة الأنفال: آية ٧٤.

٢- سورة العنكبوت: آية ٦٩.

ثانياً: جهاد الكفار، وهو المذكور في القرآن الكريم في مواطن كثيرة، أكثر من الأولى، لأهميته لا لصعوبته، فإن الأول أصعب والثاني أهم، حتى ورد: (رجعتم من الجهاد الأصغر فعليكم بالجهاد الأكبر)، أعني أنه قدم الجهاد الأصغر زماناً على الجهاد الأكبر، وفي ذلك نحو أهمية لا محالة. أقول: إن من جاهد الكفار فإنه يسهل عليه جهاد النفس، ولذا كان جهاد الأعداء مقدمة لجهاد النفس ولعل العكس صحيح، إلا أن واقع المعركة هو المحك الحقيقي.

السؤال السابع والستون:

يوصف تعالى أنه سميع بصير، هل معنى ذلك أنه يسمع ويبصر بحاسة وواسطة أم ماذا؟
بسمه تعالى:

هذا مما يخالف القواعد العامة كما ذكرنا سابقاً، ولذا يجب تفسيره بأمور معنوية لا مادية، كما قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾^(١)، وقال: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾^(٢)، فسمعه وبصره وعلمه بالصور والأصوات لا يعني أنه

١- سورة فاطر: آية ١٠.

٢- سورة غافر: آية ١٩.

سمع مادي بالأذان والأعين، بل هو المسيطر فوق عباده والقاهر. وخصوصاً بعد أن نعلم أن سمعه ليس للأصوات فقط ولا رؤيته أو إبصاره بالأمور المادية فقط، وللأجسام منها، بل كما قلنا أنه يعلم ويسمع ما في الصدور من أمور معنوية وشبهات، بل ومن حَقِّ أنت تكتمه، إذن فمن يسمع عالم المعنى يكون سمعه معنوياً، وكذا بصره أو بصيرته.

ومما لا بد من ذكره ولو مختصراً، أن هذه الصفات وغيرها متحدة في ذاته، فهو يسمع بالذي يبصر ويبصر بالذي يسمع، وهكذا فالتفتوا.

السؤال الثامن والستون:

ما معنى صفة القيوم؟

بسمه تعالى:

هذه الصفة ذكرت بلسان آخر، كقوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾^(١)، وغيرها من الآيات، ومعناه القيام، أي حفظ الشيء وتدييره ومراقبته والقدرة عليه، أي أنه جل جلاله قائم على المخلوقات كلها بالعدل واللطف والإحسان والرحمة، وغيرها

١- سورة الرعد: آية ٣٣.

من الأمور، بل حتى العذاب والعقاب وكل الصفات.

السؤال التاسع والستون

ما هي أفضل الكتب العقائدية التي تنصحون بقراءتها؟

بسمه تعالى:

هناك الكثير من الكتب التي ألفها وتعب عليها علمائنا الأعلام، إلا أن قراءتها منوطة بفهمها، فكل مستواه ولكل ثقافته وعلمه، فلا يقرأ المبتدئ ما للمتبحر أكيداً، فعليكم أن تقرأوا أحسن الكتب بما يليق بمستواكم، وإلا فلعل بعضها يوصل إلى نتائج لا تحمد عقباها، والتسلسل بالعلم أحد أهم مقومات فهم العلم كما هو بديهي.

السؤال السبعون:

سماحة السيد ما هي الآثار الأخلاقية للتوحيد الحقيقي في

تكامل الإنسان؟

بسمه تعالى:

ورد: «صانع وجه واحد يكفيك كل الوجوه»، فإنك إن وحدت الله حق توحيده في ذاته وصفاته وعبادته وأفعاله وطاعته فسوف تصل لا محالة إلى الفناء فيه وعشقه والذوبان في الله، وسوف لن تستعين بغيره حتى في قضاء حوائجك وأفعالك، حتى ورد في

الحديث القدسي: «عبدني أطعني تكن مثلي»، والإطاعة هنا، بل قل أن أوضح مصداق لها هو المصداق المطلق للطاعة هنا، وهو: (التوحيد)، كما ورد: «إني أطعتك في أحب الأشياء إليك وهو التوحيد...»، فالطاعة في التوحيد على مراتب أعلاها الفناء في الله، وأن لا ترى الخلق إلا فيه، وأنه موجود في كل أفعالك وأعمالك ومشاهداتك وعباداتك وكل ما يجول في خاطرك، ويا لها من فائدة عظمى، وإن كل المعصومين (سلام الله عليهم) مصداق لذلك، سواء بالعصمة الأولية أو الثانوية، ولو أردنا أن نعطي مثلاً حياً -بنظري بطبيعة الحال- أعني قد اطلعت على من كان مثلاً في حسن عبادة التوحيد، ألا وهو السيد الوالد، فإنه كان يرى الله في كل أفعاله وعباداته وأفكاره وأحكامه، وكل خلجاته وحواسه وغيرها، حتى وصلت النبوة إلى أن يُخَطُّ اسم الجلالة على يده تارة وعلى جبهته أخرى، فمن عبد الله بأحب الأمور أحبه الله وانعكس ذلك حتى على جسده لا أعماله فقط.

السؤال الحادي والسبعون:

السجود على التربة الحسينية شريك كما يعتبره الوهابيون،

مُشَبَّهين بينه وبين السجود للأصنام، ماذا نرد عليهم؟

بِسْمِهِ تَعَالَى:

يرد على ذلك بأمر عديدة، منها:

أولاً: إننا نسجد على التراب لا للتراب، وهذا واضح الفرق أكيداً.

ثانياً: إننا مأمورون بالسجود على التراب، والتربة المتعارف بيننا هي مصداق للتراب ليس إلا، فنحن نطيع الله في السجود على التراب، وليس في طاعة الله أي شرك أو كفر.

ثالثاً: إنهم يخالفون أوامر الله فيسجدون على كل ما يجدونه مما يصح السجود عليه أو لا، فهم لا يفرقون بين ذلك.

السؤال الثاني والسبعون:

ما معنى قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾^(١)؟

بِسْمِهِ تَعَالَى:

الكفاءة هو العدل والمساوي، وبطبيعة الحال فلا كفاءة ولا مساوٍ لذات الله ولا لصفاته، فلا كفاءة إلا بالاستقلالية عنه، ولا استقلالية عنه، فكلنا إليه راجعون، فإذن يستحيل أن يكون لله كفاءة.

السؤال الثالث والسبعون:

١- سورة الإخلاص: آية ٤.

ما معنى قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾^(١)؟

بسمه تعالى:

في ذلك جهتان:

الأولى: جهة الإحاطة، بمعنى القدرة والالتفاف على الجميع والتسلط على كل خلقه وعباده، الصالح منهم والپالغ بطبيعة الحال.

الثانية: جهة الراء، أي أنه محيط بمن جعل الله وراءه وخلفه،

قال تعالى: ﴿وَأَتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرًا وَإِن كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ لُمُحِيطٌ﴾^(٢)،

فهو تذكير لهم أنكم وإن جعلتم الله خلف ظهوركم، إلا أن الله محيط بكم من كل جانب، من أمامكم وخلفكم وكل الجهات الأخرى على حد سواء، وهو المتسلط عليكم في سركم وجهركم على باطنكم وظاهركم، فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون.

١- سورة البروج: آية ٢٠.

٢- سورة هود: آية ٩٢.